روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

د. نبيل فاروق

145

الخصم الرهيب

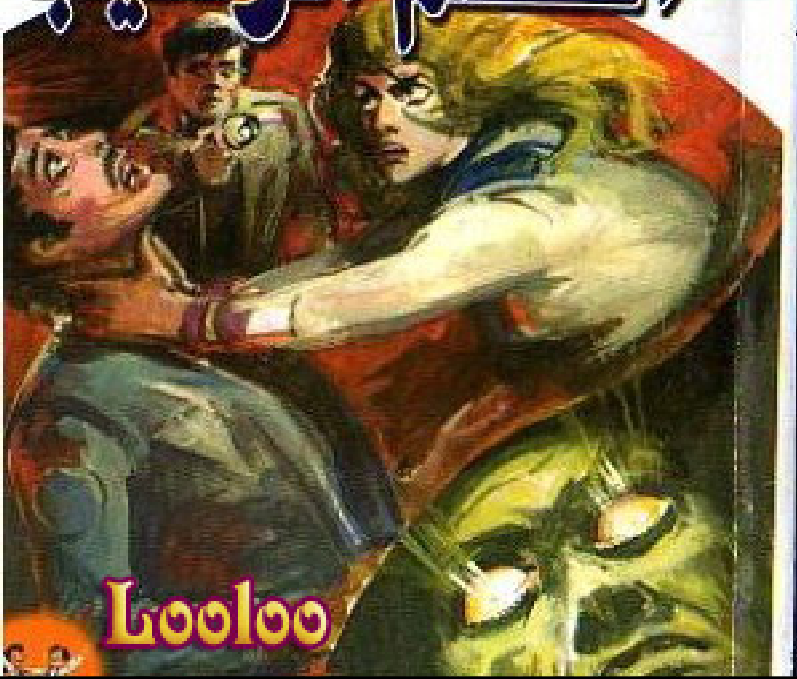

Looloo

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ، من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ـ حرب الشر ..

«لقد فقدنا السيطرة على الموقف تمامًا ..»

هتف الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية بالعبارة ، فى توتر لا محدود ، وهو يندفع داخل حجرة القائد الأعلى ، الذى هبَّ من خلف مكتبه ، قائلاً فى انزعاج شديد :

ـ حقًّا ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لست أجد مصطلحًا بخلاف هذا ؛ لتفسير الموقف البائس ، الذى بلغته أمورنا ، فى صراعنا مع عقل الشر المدمِّر هذا .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وعقله يستعيد بسرعة تلك الأحداث الرهيبة ، التى انتهت بهم إلى هذا الموقف العصيب ..

فكل هذا قد بدأ برسالة عجيبة ، تلقَّاها رجل الأعمال الشهير (شريف صابر) ، عبر هاتفه المحمول الحديث ..

رسالة ، تحدث صاحبها بصوت آلى مخيف ، وهو يطالبه بمليار جنيه مصرى دفعة واحدة ، مقابل تركه على قيد الحياة ..

ولم يذعن (شريف صابر) للتهديد ، أو يرضخ للابتزاز ..

واتصل برجال الشرطة على الفور ..

ولكن الأمر كله كان محيرًا ، حتى إن رجال الشرطة أنفسهم قد وقفوا أمامه عاجزين مقيدين ..

الرسالة ، التى استقبلها الهاتف الرقمى الحديث ، لم تترك داخله أى أثر ، يمكن أن يشير إلى موعدها أو هويتها ..

لم تترك أدنى أثر ..

ولأن هذا مستحيل علميًا وتقنيًا ، مع تلك الهواتف الرقمية شديدة التطور ، والمستخدمة فى تلك الفترة ، من العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين ، فقد تصور رجال الشرطة ، وتصورت (مشيرة محفوظ) ، رئيسة جريدة (أنباء الفيديو) ، التى ذهبت لتغطية الحادث ، أنها مجرد خدعة من رجل الأعمال ، لجذب الأضواء إليه ، وتنشيط مبيعات شركاته ومصانعه ، بدعاية غير مدفوعة ..

ولكن (شريف صابر) فاجأ الجميع ، عندما بدا فجأة أشبه

بالمأخوذ ، أو بالواقع تحت تأثير التنويم المغنطيسي ، وهو يقدم ، أمام عيون الجميع ، وعدسات آلات التصوير ، على آخر ما يمكن أن يتخيله أى مخلوق ..

لقد ألقى نفسه عبر النافذة ..

ومن الطابق العشرين ..

وكان هذا ما ينشده قاتله الغامض بالضبط ..

الدعاية ..

ولأن (نور) وفريقه قد أدركوا هذا ، فقد حاولوا بقدر إمكانهم ، منع (مشيرة) من بث ذلك المشهد الرهيب ..

والواقع أنهم قد بذلوا قصارى جهدهم ، واستعانوا بكل خبراتهم ، وأفسدوا برنامج البث ، و ....

ولكن الفيلم تم بثه بالفعل ..

وبدون أن تعمل الآلات ..

وهنا ، أدرك (نور) وفريقه أنهم يواجهون خصمًا رهيبًا ..

خصم ، يمكنه السيطرة على العقول ..

والبشر ..

وحتى الآلات ..

وكانت هذه بداية لمواجهة رهيبة ..

رهيبة إلى أقصى حد ..

مواجهة سيطر فيها ذلك الخصم على العقول ، وجنّدها لخوض حروب مفزعة ، وتأليب الكل على الكل ..

(مشيرة) كادت تقتل (أكرم) ..

و(نور) أيضًا كاد يقتله ..

و(سلوى) أوشكت على قتل (نور) ..

عشرات خضعوا لعقله الجبار ، وتحوّلوا ، دون إرادة منهم ، إلى جنود فى جيشه ..

جيش لامحدود ، يعمل كله بتوجيه من أعمق أعماق عقله ..

وما يجهله القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وما يجهله (نور) وفريقه أيضًا ، أن ذلك العقل الرهيب ليس عقلاً عاديًا ..

إنه عقل شديد التطوّر ، تمت تنميته ، طوال عقدين من الزمن ، هناك فى أعمق أعماق جبال (التبت) ..

زمن طويل ، قضاه فى تطوير قدراته العقلية ، وتقويتها ، وتدريبها ، على يد واحد من رهبان التبت ..

هناك تضاعفت قدرات عقله المتطوّر ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

وعندما بلغ الحد الكافى ، للسيطرة على كل العقول ، حتى عقل معلّمه نفسه ، قرّر أن يعود ..

وأن ينطلق ..

وينتقم ..

وكان انتقامه رهيبًا بحق ..

(أكرم) واجه خطرًا هائلاً ..

(سلوى) حطمت كل ما حولها ..

(رمزى) كاد يلقى مصرعه ، خنقًا وحرقًا ..

ووسط كل هذا ، حدث أمر مدهش ..

أو اتصال مدهش ..

اتصال مع (محمود) ، عضو الفريق السابق ، الذى ضاع فى مجرى الزمن قديمًا(*) ..

(*) راجع قصة (الزمن ـ صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

لأول مرة ، يتم اتصال مسموع بينهم وبينه ..

ولأول مرة ، يعود إلى العمل مع الفريق ، دون أن يغادر فراغه الزمنى الحر ..

وأخبرهم (محمود) ..

أخبرهم أنه ما من وسيلة تكنولوجية ، فى العالم كله ، يمكنها أن تهزم ذلك الشر الرهيب ..

فقط العقل ، يمكن أن يهزم العقل ..

والعقل وحده ..

ولكن (محمود) لم يجد الوقت الكافى ، ليشرح لهم ما الذى يعنيه هذا ..

فعلى الرغم من أن (سلوى) و(نشوى) قد ابتكرتا موجة مضادة ، يمكنها معادلة موجات ذلك العقل الجبار ، إلا أنهما لم يستطيعا بثها على نطاق واسع أبدًا ..

هذا لأن ذلك الخصم الرهيب قد استخدم قواه العقلية ، للسيطرة على عدد هائل من الحيوانات والطيور ، ودفعها كلها لتحطيم البرج قبل البث ..

برج محطة (أنباء الفيديو) ..

ومع انهيار برج البث ، فشلت خطة (سلوى) و(نشوى) ..

واستعاد الخصم الرهيب قوته ..

وسيطرته ..

وانطلق كالعاصفة ..

بل كالإعصار ..

وفى نفس اللحظة ، التى سحقت فيها قطعة من البرج المنهار ، سيارة المقدّم (نور) ، بلا رحمة أو هوادة ، كانت (نشوى) تواجه ذلك العقل الوحشى ، داخل مركز الأبحاث العلمية ..

تواجهه وتتحداه ..

بكل عنادها ..

وصرامتها ..

وإرادتها ..

وانقضّ عليها ذلك العقل الرهيب ..

وأمام عينى (سلوى) المرتاعة ، انتفض جسد (نشوى) ، كما لو أنها قد تلقت لطمة قوية ..

ثم سقطت بمنتهى العنف ..

وعندما اندفعت (سلوى) نحوها ، كانت (نشوى) تبدو وكأنها تلفظ أنفاسها ..

أنفاسها الأخيرة(*) ..

« اهدأ يا دكتور (جلال) ، واشرح لى الأمر بالتفصيل » ..

نطق القائد الأعلى العبارة فى صرامة ، وهو يلتقط يد الدكتور (جلال) ، ويقوده إلى مقعد قريب ، فقال الرجل ، وكل حرف من حروف كلماته يضطرب على شفتيه ولسانه :

ـ قسم أبحاث الزمن ، الذى أنشأناه مؤخرًا ، تم تدميره بالكامل ، فى نفس الوقت الذى أغلقت فيه كل المداخل التى تقود إليه ، دون أن تفلح كل أجهزتنا الإليكترونية المتطورة فى فتحها ، وآلات المراقبة الداخلية أيضًا أوقفت ، ولسنا ندرى كيف حدث هذا ، وما الذى يحدث داخل المكان !

ازدرد القائد الأعلى لعابه ، محاولاً السيطرة على أعصابه ، وهو يتساءل ، فى حذر متوتر :

ـ أهناك أحياء ، أم ....

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثانى ، (بلا جسد) ، و(العقل) .. المغامرتين رقمى (١٤٣) ، و(١٤٤) .

لم يستطع إكمال سؤاله ، ولكن الدكتور (جلال) هز رأسه فى قوة ، مجيبًا فى أسى ومرارة :

ـ لا أحد يمكنه الجزم ، فى الوقت الحالى .. رجال الأمن يحاولون اقتحام المكان ، لتحديد الموقف داخله ..

ثم دفن وجهه بين كفيه ، مستطردًا ، فى صوت أشبه بالنحيب :

ـ صفوة علمائنا كانوا هناك ، وكذلك (سلوى) و(نشوى) ..

يا للخسارة ! يا للخسارة !

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى توتر بالغ ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يسأل ، فى شىء من العصبية :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، مجيبًا :

ـ (أكرم) مصاب فى قسم الرعاية الطبية الخاص ، داخل إدارة الأبحاث العلمية ، وبصحبته زوجته (مشيرة) ، ونحن نحيطهما بحراسة مكثفة ، باعتبار أن (مشيرة) هى مفتاح اللغز كله ، كما أكد المقدم (نور) ، و(رمزى) أيضًا ..

قاطعه القائد الأعلى ، متسائلاً فى لهفة :

ـ وماذا عن (تور) ؟!

رفع الدكتور (جلال) عينيه إليه فى بطء ، وهو يقول :

ـ لا شىء .

سأله القائد الأعلى ، فى سرعة وتوتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

زفر الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أعنى أنه ليست لدينا أية معلومات مؤكدة بشأنه ، سوى ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، على نحو ضاعف من توتر القائد الأعلى ، مما دفع هذا الأخير إلى أن يسأل فى حدة :

ـ سوى ماذا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، مجيبًا فى خفوت :

ـ سوى تأكيد بصرى ، من طاقم أمن محطة (أنباء الفيديو) ..

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ تأكيد بصرى مخيف .

سأله القائد الأعلى ، فى حذر عصبى :

ـ إلى أية درجة ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، محاولاً السيطرة على توتره ، إلا أن ارتجافة صوته شفت عما يدور فى أعماقه ، وهو يجيب :

ـ رجال الأمن شاهدوا قطعة من برج البث المنهار ، وهى تطارد سيارة (تور) ، كما لو دبّت فيها الحياة ، و ...

صمت لحظة ، ثم أضاف ، وهو يشيح بوجهه فى مرارة :

ـ وتسحقها سحقًا .

واتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وتراجع خطوة ، بكل توتر الدنيا ..

فالموقف كان يوحى بالفعل أنهم قد فقدوا السيطرة ، فى حرب الشر هذه ..

فقدوها تمامًا ..

* * *

لقد ربح هذه الجولة بجدارة ..

هكذا شعر ذلك الخصم الرهيب ، وهو يجلس القرفصاء فى مكمنه ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف ..

عقله أثبت تفوقه مرة أخرى ..

عقله الجبّار ، الذى سعى لتنميته ، وتقويته ، وتطويره ، طوال عقدين من الزمان ، أثبت أنه أقوى من تكنولوجيتهم ..

وإرادتهم ..

وقوتهم مجتمعين ..

وها هو ذا يستعيد سيطرته على الموقف كله ..

ويسحق محاولتهم لتحجيمه سحقًا ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

الجهاز الوحيد ، الذى كان بإمكانه كشف موجات عقله الرهيب ، وتتبُّعه وتعقُّبه ، ثم تدميره ..

وبوساطتهم هم ..

والبرج ، الذى كاد يبث الموجة المضادة لموجات مخه ، هوى وتحطَّم ..

قائد الفريق انسحق مع سيارته ..

ولم تتبق سوى خطوة واحدة ، وتتحطَّم المقاومة تمامًا ..

عليه أن يدمِّر ذلك العقل ، الذى ابتكر وسيلة تحجيمه ..

عقل (نشوى) ..

(نشوى) ، التى دفعها غرورها إلى مواجهته ..

ومقاومته ..

وتحديه ..

ويا لها من مغرورة تافهة !

وبكل قواه العقلية الجبّارة ، انقضَّ عليها ..

على عقلها ..

وجسدها ..

وكيانها كله ..

ويا لتفاهتها !

إنها لم تبذل حتى أدنى جهد ، لمقاومة سيطرته العقلية ، أو معاندة إرادته الفولاذية ..

لذا ، فهى تستحق أن يسحقها سحقًا ..

وبأعنف وسيلة ممكنة ..

سيذيب خلايا مخها ، ويمزجها بعظام جمجمتها ، و ....

فجأة ، توقَّفت أفكاره ..

توقَّفت مع تلك الموجة ، التى اخترقت عقله فجأة ..

موجة قوية ، قادرة على تتبُّع موجات عقله ..

وتعقُّبها ..

وكشفها ..

ومن أعمق أعماق الشر ، فى كل ذرة من كيانه ، تفجَّر غضب هادر ..

وعلى الرغم منه اضطر إلى التراجع ..

وبأقصى سرعة ..

ومع غضبه العنيف ، بدا وكأن خلايا مخه تغلى ..

وتغلى ..

وتغلى ..

ومع انفعاله ، راح إيقاع تنفُّسه يتصاعد ..

ويتصاعد ..

ويتصاعد ..

ولكن لا ..

لا ينبغى له أن يطلق العنان لانفعالاته ، على هذا النحو ..

لا ينبغى أبدًا ..

وبكل إرادته المذهلة ، أغلق عينيه ..

وأطلق عقله ..

وسيطر على مشاعره وانفعالاته ..

كل انفعالاته ..

وبعقل فاق كل العقول ، راح يدرس الموقف ..

لقد تمادى كثيرًا بالفعل ..

عقله لم يتوقَّف عن الانطلاق والسيطرة أبدًا ..

وفى عدة اتجاهات ..

ولقد بدأ يشعر بالإجهاد ..

الإجهاد العقلى ..

وما تعلّمه ، طوال عقدين من الزمان ، هو ألا يجهده إلى هذا الحد قط ..

ومهما كانت الأسباب ..

فالوقت مناسب تمامًا للتوقف ..

والاسترخاء ..

واستعادة النشاط ..

لقد أوقف محاولة بث الموجة المضادة ، ولكنهم يسعون مرة أخرى لتعقّبه ..

ووسيلتهم الوحيدة لهذا ، هى تتبّع نشاطه العقلى الجبار ..

وهو لن يمنحهم هذه الفرصة

أبدًا ..

وبإرادة ينثنى أمامها الفولاذ ، دفع كل خلايا جسده للاسترخاء ، دون أن يتخلّى عن وضع القرفصاء ، وخفض نبضات قلبه ، ومعدلات تنفُّسه إلى حدها الأدنى ، ثم تجمّد تمامًا ، كما لو كان تمثالاً من الرخام ..

وكان هذا يعنى أنه يمر بحالة نادرة من السكون ..

السكون الذى يسبق العاصفة ..

عاصفة الشر ..

* * *

ارتجفت كل ذرة فى كيان (سلوى) ، وهى تمسك ابنتها من كتفيها ، صارخة بكل ارتياع ولوعة الدنيا :

ـ لا يا (نشوى) .. لا .. قاومى .. لا تسمحى له بالسيطرة على عقلك .. لا ..

وعلى الرغم من صرخاتها ، راح جسد (نشوى) يرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

و .....

وفجأة ، انطلق فى المكان أزيز مفاجئ ...

أزيز ، أعقبه صوت آلى ، يقول :

ـ بدأ تشغيل البرنامج ..

ثم عاد السكون يُخيِّمُ على المكان كله ..

حتى (سلوى) ، احتبست كلماتها فى حلقها ، وتعقد حاجباه
بشدة ، وهى تحتوى جسد ابنتها بين ذراعيها فى خوف
وعقلها يتساءل : أى برنامج هذا ، الذى بدأ تشغيله ؟!

أى برنامج ؟!

وقبل حتى أن ينطلق عقلها ، بحثًا عن الجواب ، انتفض
جسد (نشوى) انتفاضة قوية بين ذراعيها ، ثم انطلقت من
حلقها شهقة ..

شهقة ، جعلت (سلوى) تهتف فى هلع :

ـ يا إلهى ! (نشوى) .

كانت الدموع تتفجَّر من عينيها ، عندما فتحت (نشوى
عينيها فى تهالك ، متمتمة فى ضعف :

ـ اطمئنى يا أمى .. لقد خدعته .

حدَّقت (سلوى) فى وجهها لحظة ، بكل لهفة الدنيا ، قبل
أن تحتضنها فى قوة ، قائلة :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله على سلامتك يا بنتى .

كررت (نشوى) ، وكأنها لم تسمعها :

ـ لقد خدعته ..

أبعدتها (سلوى) قليلاً ؛ لتتطلَّع إلى وجهها فى دهشة ،
متسائلة :

ـ خدعت من ؟!

ابتسمت (نشوى) فى ضعف ، وهى تشير بسبَّابتها ، قائلة :

ـ لقد هاجمنى ، واخترق عقلى ، وصوَّر له غروره أننى
قد فقدت سيطرتى على نفسى ، عندما تحديته على هذا النحو ،

وتوقَّفت لحظة ، ازدردت خلالها لعابها ، قبل أن تضيف :

ـ ولكنها كانت خدعة .

رددت (سلوى) فى ذهول :

ـ خدعة ؟!

أشارت (نشوى) بسبَّابة مرتجفة ، إلى جهاز الكمبيوتر ،
الذى انطلقت منه العبارة ، وهى تقول :

ـ نعم .. لقد برمجت ذلك الجهاز هناك ، ليطلق برنامج
تعقُّب سريع ، فى توقيت حددته مسبقًا .

اقتحم رجال أمن إدارة الأبحاث العلمية المكان ، بعد أن تراجعت سيطرة الخصم العقلية عن مداخله ومخارجه ، فى نفس اللحظة التى هتفت فيها (سلوى) فى لهفة :

- هل .. هل حددت موقعه ؟!

التقطت (نشوى) نفسًا عميقًا ، وهى تغمغم :

- أتعشم هذا .

نطقتها ، وانهار جسدها تمامًا ، معلنة نهاية جولة أخرى ، من تلك الحرب ..

حرب الشر ..

الرهيبة .

* * *

٢ـ الخسائر ..

ثوان قليلة ، كانت تكفى لحسم الموقف كله ..

ثوان ، قد لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

قطعة البرج المنهارة تطارد سيارة (نور) ، فى استماتة عجيبة ، تخالف كل قواعد العقل والمنطق ..

ثم تنقضّ عليها ..

و ....

وبكل قوته ، وأقصى سرعته ، وذروة طاقته ، وثب (نور) ..

وثب خارج سيارته الصاروخية ، وضمّ ركبتيه إلى صدره ، وهو يحمى رأسه ووجهه بذراعيه ، تاركًا جسده يتدحرج ..

ويتدحرج ..

ويتدحرج ..

ومن خلفه ، هوت قطعة البرج الضخمة ، التى تتجاوز الطنين وزنًا ، فوق سيارته تمامًا ..

وسحقتها سحقًا ..

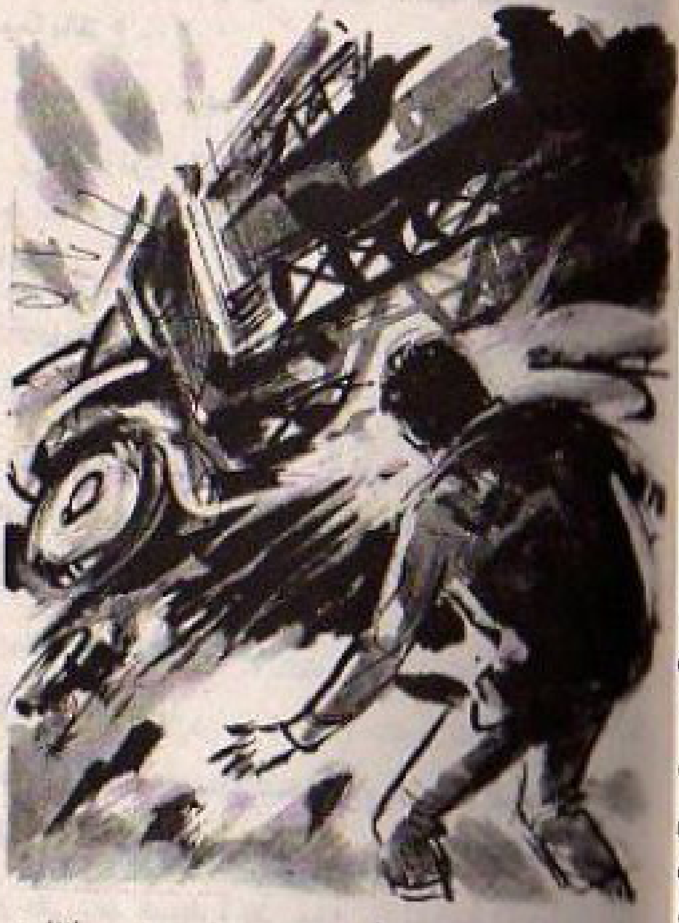

وفى سرعة ، هبَّ (نور) واقفاً ، وانعقد حاجباه بشدة ، مع أنفاسه اللاهثة ، وهو يتطلَّع إلى سيارته ..

وكان الدوى رهيباً ..

رهيباً بحق ..

وحتى استقر جسده خارج الطريق ، وسط الغبار والحصى ، والأحجار الصغيرة ، لم يكن الدوى قد توقَّف بعد ..

وفى سرعة ، هبَّ (نور) واقفاً ، وانعقد حاجباه بشدة ، مع أنفاسه اللاهثة ، وهو يتطلَّع إلى سيارته ..

أو إلى ما تبقَّى منها ..

وفى توتر لا محدود ، غمغم :

ـ رباه ! إنه لا يتوقَّف أبداً .

كان يشعر بمزيج من التوتر والغضب والقلق فى أعماقه ، بعد أن انهار برج البث الرئيسى ، وفشلت خطة فريقه ، فى تحجيم طاقات وقدرات خصمهم الرهيب ، على هذا النحو ..

ومن فوقه ، حلَّقت آلاف الطيور مبتعدة ، وكأنما تحرَّرت أخيراً ، وبدت أشبه بسحابة داكنة ، غطت مشهد التقلب ، التى راحت تعدو فى كل الاتجاهات ، وقد تولَّتها حالة عجيبة من الفزع ، أفقدتها صوابها ، حتى إن بعضها مرَّ على قيد مترٍ واحد منه ، وتابع طريقه بأقصى سرعته ، كما لو أنه لم يلمحه ..

كان من الواضح أن السيطرة العقلية تصيب ضحيتها دومًا بالفزع ..

بنوع غامض مبهم من الفزع ..

والتقط (نور) نفسًا عميقًا ، وحاول أن يتجاهل كل آلامه وجراحه ، وأن يطلق لعقله العنان ؛ فى محاولة لتفسير ما حدث ..

ليس عملية سقوط برج البث ..

وإنما ما بعدها ..

فمع سقوط البرج ، كان من الطبيعى أن يستعيد ذلك الخصم الرهيب سيطرته الفائقة ..

وأن يسعى للانتصار ..

بمنتهى القسوة ..

ومنتهى السرعة ..

كان من الممكن أن يدفع الثعلب إلى مهاجمته وافتراسه ..

أو يجعل الطيور تنقضّ عليه ..

أو حتى يعيد السيطرة على مخه ..

ولكنه ، وعلى عكس أى منطق ، لم يفعل هذا ..

لم يفعل شيئًا ..

أى شىء ..

فلماذا ؟!

لماذا ؟!

ظلّ السؤال يتردد فى ذهنه ، وهو يتابع ببصره سيارة (أنباء الفيديو) ، التى غادرت المحطة ، واتجهت نحوه مباشرة ، ثم أمسك مسدسه بحركة غريزية ، وهو يغمغم :

ـ ماذا لو..

قبل أن يتم تساؤله ، ارتفع رنين جهاز الاتصال المحدود ، فى قلب ساعته ، فرفعها إلى شفتيه بسرعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً فى توتر ، لم يستطع حجبه :

ـ هنا (نور) .. ماذا هناك ؟!

أتاه صوت زوجته (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ (نور) .. أسرع يا (نور) .. إنها (نشوى) .

ارتجفت الدماء فى عروقه ، وهو يهتف :

ـ ماذا أصابها ؟!

شرحت له (سلوى) ماحدث، بكلمات مرتجفة مضطربة، قبل أن تقول في توتر:

ـ لقد حددت بالفعل دائرة تواجده، ولكنها فقدت وعيها، وانخفض معدّل تنفسها، والأطباء قلقون بشأنها.

التقى حاجباه في شدة، وهو يقول في انفعال:

ـ حددت دائرة تواجده.

الآن فقط أدرك، لماذا لم يواصل ذلك الخصم هجومه..

لماذا توقّف بغتة..

الآن فقط..

« (نور) ... »

انتزعته (سلوى) بهتافها الغاضب من أفكاره، قبل أن تتابع في حدة:

ـ إنني أتحدث عن ابنتنا.

بلغته سيارة (أبناء الفيديو) في تلك اللحظة، فقال في حزم:

ـ أنا في طريقي إليك.

قالها، ووثب إلى سيارة (أبناء الفيديو):

دون أن يدعوه أحد لهذا، وأشار إلى قائدها بالانطلاق، وعقله كله يحمل فكرة واحدة..

لقد حددت (نشوى) دائرة تواجده..

وهذا يعني ضرورة التحرك الآن..

وبأقصى سرعة ممكنة..

بهذا فقط قد يكون هناك أمل..

آخر أمل..

* * *

« إنها بخير ... »

نطق طبيب الملحق الطبي، في إدارة الأبحاث العلمية الخارقة في ارتياح، بعد أن انتهى من فحص (نشوى)، قبل أن يبتسم، قائلاً:

ـ لقد استنفدت طاقتها فحسب، وبعض النوم سيعيد إليها نشاطها، إن شاء الله (العلي القدير).

أطلقت (سلوى) تنهيدة حارة، من أعماق قلبها، وهي تقول:

ـ حمداً لله.. حمداً لله.

ثم انعقد حاجباها ، وهى تضيف فى توتر :

ـ كنت أتمنى لو أن (نور) هنا ؛ ليسمع هذه الكلمات بنفسه .

ابتسم الطبيب مرة أخرى ، وهو يقول فى رصانة :

ـ زوجك رجل رائع ياسيدتى ، يؤدى عمله دومًا بكفاءة ، من أجلنا جميعًا .

زفرت فى أسى ، قائلة :

ـ هذا صحيح ، ولكنه يولى عمله اهتمامًا أكثر مما ينبغى ، حتى إنه ألقى نظرة واحدة على ابنته ، وألقى عليك سؤالين ، ثم انطلق ليرى ما كشفته ، قبل أن تسقط فى غيبوبتها .

وافقها الطبيب بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول :

ـ هذا يثبت أنه شخصية فريدة ياسيدتى .

حاولت أن تعترض ، إلا أنه استطرد فى سرعة :

ـ هل تعتقدين أنه لايحب ابنته ، بنفس القدر الذى تحبينها به ؟!

هتفت مخلصة :

ـ بالتأكيد .. إنه والدها .

قال على الفور :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد ألقى عليها نظرة واحدة ، واطمأن إلى أننا نوليها الرعاية الكاملة ، ثم انطلق ليواصل عمله ، ولينقذ العالم كله من خطر قائم رهيب .. خطر يتهددنا جميعًا .

ثم مال نحوها ، مضيفًا بلهجة ذات مغزى :

ـ وعلى رأسنا ابنته نفسها .

احتقن وجهها ، مع هذا المنطق الواضح ، وغمغمت :

ـ هذا صحيح .

كانت تشعر بالخجل ؛ لأن انفعالها جرفها ، إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من زوجها (نور) ..

وفى هدوء رصين ، قال الطبيب ، وابتسامته تحمل كل المودة :

ـ من النادر أن نجد شخصًا يدافع عنا بكل هذا الإخلاص .. أليس كذلك ؟!

غمغمت :

ـ بالتأكيد .

وألقت نظرة حانية أخرى على ابنتها ، قبل أن تضيف ، وقد تسلل شيء من الحزم إلى صوتها :

ـ هذا واجبه .

وصمتت لحظة ، ثم استطردت ، وقد تضاعفت نبرة الحزم في صوتها أكثر :

ـ وواجبنا ..

في نفس اللحظة ، التي نطقت فيها عبارتها ، كان الدكتور (جلال) يحدق في وجه (نور) في دهشة ، قبل أن يقول في حماسة :

ـ اشرح لي مرة أخرى ما تريد فعله بالضبط يا (نور) .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ إنها خطة للسيطرة على الموقف يا دكتور (جلال) ، أو لاستعادة السيطرة عليه ، لو شئنا الدقة ، وأول خطوة في هذه الخطة ، هي إطلاق تلك الموجة المضادة ، التي ابتكرتها (نشوى) ، عبر شبكة الإذاعة الداخلية ، التي تشمل مركز الأبحاث ، وإدارة المخابرات العلمية ، وذلك لصنع ما يشبه الدرع ، الذي يمنع قدرته العقلية من الوصول إلينا ، والسيطرة على عقولنا ، أو عقول العاملين هنا .

هتف الدكتور (جلال) مبهورًا :

ـ فكرة عبقرية بحق يا (نور) .. كيف لم تخطر ببال أحد علمائنا هنا ؟!

أجابه (نور) في حزم :

ـ ربما لأن تطورات الأحداث ، هي التي قادتني إليها ؛ فلقد انتبهت إلى أننا الجهة الوحيدة تقريبًا ، القادرة على مواجهته والتصدي له ، ولكنه يشغلنا عن هذا بدفعنا إلى مجموعة من المواجهات ، التي لا تنتهي ، وبالتسلل إلى عقولنا ، والهيمنة على تصرفاتنا ، ودفعنا إلى تدمير كل ما يمكن أن يوقفه ، لذا ، فأول ما ينبغي أن نفعله ، هو أن نعزل عقولنا عن تأثيره ، ونمنح أنفسنا هدنة مناسبة ، يمكننا خلالها دراسة الموقف في هدوء ، وتطوير وسائلنا ، وابتكار نظام قادر على التصدي له ، خارج حدودنا هنا .

ابتسم الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك : إنها فكرة عبقرية ؟!

ثم التقط جهاز الاتصال الداخلي ، مضيفًا في حزم :

ـ سآمر بتنفيذها على الفور .

لتلقى أوامره بالفعل ، ثم قال :

ـ لقد تم نسخ برنامج (نشوى) بالفعل ، إلى الكمبيوتر المركزى ، وسيتم بث الموجة المضادة ، عبر شبكة الاتصالات الداخلية ، خلال عشرين ثانية فحسب .

وأعاد جهاز الاتصال الداخلى إلى حزامه ، وهو يتساءل فى شغف :

ـ وماذا عن الخطوة الثانية ؟!

شدّ (نور) قامته ، قائلاً فى حزم صلب :

ـ لن يضيرنا أن ننتظر ، حتى تنتشر تلك الموجة المضادة هنا بالفعل .

سأله فى دهشة مستنكرة :

ـ ولماذا ؟!

أجاب (نور) ، فى لهجة حاسمة :

ـ دكتور (جلال) .. الجهاز الوحيد المتطوّر ، الذى كان بوسعه بث واستقبال الموجات فائقة القصر ، تم تدميره هنا ، بوساطة السيطرة العقلية على أفرادنا ، من خصم رهيب ، يمتلك قوة عقلية

جبارة ، لاقِبَلَ لنا بها ، ولولا ذلك البرنامج المدهش ، الذى طوّرته (نشوى) ، والقادر على بث تلك الموجات ، عبر جهاز البث التليفزيونى ، لما أمكننا إيقاف نشاطه مؤقتًا ، ومن يدرى ، ما الذى يمكن أن يحدث ، لو أن توقُّف النشاط هذا مؤقَّت .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) :

ـ أعنى أنه لو كان خصمنا قد عاود نشاطه بالفعل ، دون أن ينبهنا إلى هذا ، فمن المحتمل جدًا أن تكون له عيون وآذان هنا ، يمكن أن تكشف كل ما سنعده لمواجهته .

أدرك الدكتور (جلال) ما يعنيه (نور) ، فقال بحزم :

ـ أنت على حق أيها المقدّم .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع أزيز من جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه بسرعة ، واستمع إلى محدثه لحظة ، قبل أن يقول فى حماسة وارتياح :

ـ لقد تم بث الموجة المضادة بالفعل .

فنقل ارتياحه إلى (نور) ، الذى أغمض عينيه ، متمتمًا :

ـ عظيم .

تابع الدكتور (جلال) ، فى لهفة واضحة :

ـ والآن ، ما خطوتك التالية ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ مادامت (نشوى) قد حددت دائرة تواجده ، إذن فالخطوة المنطقية الآن ، هى أن تنطلق خلفه .

بُهت الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى توتر :

ـ تنطلقون خلفه ؟! ولكنكم بهذا تخرجون من دائرة الحماية يا (نور) ، وتصبحون تحت رحمة قواه العقلية الرهيبة .

قال (نور) فى صرامة :

ـ نحن لم نصنع درع الموجات هذا ، حتى نحتمى به ، ونترك ذلك الحقير ليفترس العالم كله يادكتور (جلال) .. إنها عملية مؤقّتة فحسب ، وينبغى أن نطوّر خلالها جهاز التتبُّع ، بحيث نصنع نسخة صغيرة منه ، يمكننا بوساطتها تعقّب نشاطه المخى الفائق ، عندما تنتهى الهدنة ، ويواصل خطته الجهنمية مرة أخرى .. نسخة مزوّدة بوسيلة تمنعه من كشف ما نفعله .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ يمكننا أن نزوّد نظام الاتصال فى سيّارتكم ، بجهاز بث داخلى ، يطلق تلك الموجة المضادة ، و...

« هذا مستحيل ! »

التفت الاثنان فى آن واحد ، إلى البقعة التى انطلقت منها العبارة ، قبل أن يهتف الدكتور (جلال) :

ـ السيّدة (سلوى) .

تابعت (سلوى) ، وهى تتجه نحوهما :

ـ إطلاق الموجة المضادة يتعارض تمامًا مع استقبال إشارات المخ فائقة القصر .. لايمكنك أن تستخدم هذا وذاك ، فى آن واحد ، فكل موجة منهما ستلغى مفعول الثانية تمامًا .

بدا الحرج على وجه الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

ـ آه .. لم تكن فكرة جيّدة إذن .

قالت فى سرعة :

ـ بل هى فكرة عبقرية .

ثم أشارت بسبّابتها ، مستدركة :

ـ ولكنها تحتاج إلى تطوير .

سألها (نور) فجأة ، فى اهتمام قلق :

ـ كيف حال (نشوى) ؟!

ابتسمت، وهى تربت على كتفه فى حنان، مغمغمة:

- بخير حال .. اطمئن.

سألها الدكتور (جلال) فى اهتمام:

- ما التطوير الذى تقترحينه، يا سيدة (سلوى)؟!

التقطت نفسًا عميقًا، قبل أن تقول:

- سأخبرك.

ثم راحت تشرح فكرتها..

بالتفصيل..

* * *

تهللت أسارير (أكرم)، عندما رأى (رمزى) يلتف إلى حجرته، داخل الجناح الطبى، فى مركز الأبحاث العلمية، وهتف وهو ينهض من مكانه، عند طرف فراش زوجته (مشيرة):

- (رمزى) .. حمدًا لله على سلامتك .. (نور) أبلغت بما فعله بك ذلك الحقير.

صافحه (رمزى) بابتسامة هادئة، وهو يقول:

- وأبلغنى بما فعله بكما أيضًا.

وتطلع إلى إصابات (أكرم)، مستطردًا:

- إنك مصاب.

ضحك (أكرم) قائلاً:

- لا عليك .. إنها إصابات بسيطة، وستشفى سريعًا بإذن الله .. لقد عانيت من إصابات أكثر عنفًا، فى مشاجرات الشوارع قديمًا.

ثم استدار إلى زوجته، مستطردًا فى أسى:

- إصابات (مشيرة) هى التى تستحق الاهتمام.

انعقد حاجبا (مشيرة)، عندما التفت إليها (رمزى)، وقالت فى شىء من العصبية:

- إصاباتى ليست جسدية.

قال (رمزى) فى هدوء:

- أعلم هذا.

وحملت شفتاه ابتسامة هادئة، وهو يضيف:

- ولهذا أنا هنا.

بدا التوتر واضحًا فى صوتها، وهى تقول:

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط؟!

جلس (رمزى) على طرف فراشها ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً بصوت عميق :

- الذى أعنيه هو أن كلينا قد مرّ بتجربة رهيبة ، أسفرت بالنسبة لى عن بقعة سوداء داكنة ، فى أعمق أعماق مخى ، تحجب عنى معلومات كنت أعرفها جيدًا ، أما بالنسبة لك ، فقد أسفرت عن رعب مبهم ، يتملك كل ذرة فى كيانك ، كلما حاولت استعادة ما حدث .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وسرى توتر عجيب فى أطرافه ، عندما انتبه إلى أسلوب حديث (رمزى) ، وصوته الهادئ العميق ، وأدرك ما يسعى إليه بالضبط ..

ولوهلة ، كاد ينفجر فى وجهه معترضًا ومستنكرًا ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه ، منعه من هذا ..

شىء ارتبط بطبيعته ، وإحساسه بالواجب ..

لذا فقد تراجع فى عصبية ، وعقد حاجبيه أكثر وأكثر ، وأشاح بوجهه فى توتر ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

أما (مشيرة) ، فقد راح توترها يتلاشى تدريجيًا ، وهى تتطلع إلى عينى (رمزى) الذى تابع بصوت أكثر هدوءًا ، وأكثر عمقًا :

- ومن الواضح أن خصمنا الرهيب لم يتسلل إلى عقولنا وأمخاخنا فحسب ، وإنما زرع فيها شيئًا ما ، يمنعنا من استخراج أية معلومات خاصة به منها .. باختصار ، عقولنا لم تعد كسابق عهدها .. لقد أصبح جزء منها يعمل لحسابه .. أو ربما هى نقطة وثب ، يمكنه أن يقفز منها ، فى أية لحظة ، إلى عقولنا كلها .

لم تعد تعى كثيرًا ما يقوله ، مع ذلك الضباب العجيب ، الذى أحاط بعقلها ، والذى بدت معه عينا (رمزى) ، وكأنهما تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

ومع استمراره فى الحديث ، أصبحت عيناه بالنسبة لها أشبه ببحيرة عميقة ..

عميقة ..

وبلا قرار ..

أما صوته ، فلم يعد يصلها عبر أذنيها ..

بل يتردد فى مخها مباشرة ..

يتردد هامسًا ، منسابًا ..

تمامًا كذلك الضباب ، الذى راح يهيمن على مخها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم لم يعد (رمزى) يتكلّم ..

ولم تعد هى تسمعه ..

ولكن عيونهما ظلت تلتقى ..

عيناه العميقتان المسيطرتان ..

وعيناها الجامدتان الشاردتان ..

« أكان من الضرورى أن تفعل هذا ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى عصبية بالغة ، على الرغم من خفوت صوته ، فالتفت إليه (رمزى) فى هدوء ، قائلاً :

ـ هل تقترح سبيلاً آخر ؟!

تطلّع (أكرم) إلى زوجته فى توتر بضع لحظات ، قبل أن يغمغم بنفس العصبية :

ـ هل سيؤذيها هذا ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ سأبذل قصارى جهدى ؛ حتى أجنبها أى أذى محتمل .

غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ احرص على هذا .

تمتم (رمزى) :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يدير عينيه إلى (مشيرة) ، التى بدت شاردة تمامًا ، وقال بنفس الهدوء العميق :

ـ (مشيرة) .. أفرغى عقلك من كل توتراته ، وكل مشكلاته ، واجعلى جسدك كله يسترخى ، ويهدأ ، ثم دعينا ننطلق معًا إلى نهر ذكرياتك العميق .

ظلت هادئة شاردة ، إلا أنه لاذ بالصمت بضع لحظات ، ربما يمنحها الفرصة للاسترخاء ، جسديًا وعقليًا ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ عقلك كله مضاء الآن .. كل خلية فيه مستيقظة .. كل شىء رأيته ، أو سمعته ، أو شعرت به ، أو حتى جال بخاطرك ، أصبح متاحًا .. كل شىء .. أهذا صحيح ؟!

غمغمت فى بطء :

ـ نعم .

التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ فلنعد بذاكرتنا إذن إلى تلك الموقف العصيب ، الذى واجهته فى محطة البث الفرعية لـ (أنباء الفيديو) .. لقد سيطر بعضهم على مخك .. أليس كذلك ؟!

تمتمت :

ـ بلى !

قال فى هدوء أكثر عمقًا :

ـ ولكن عقلك رآه .

ترددت لحظة هذه المرة ، قبل أن تجيب :

ـ هذا صحيح .

مال نحوها أكثر ، دون أن يبعد عينيه عن عينيها ، وقال :

ـ هناك ظلام مخيف يحيط به .

قالت ، وقد بدأ صوتها يرتجف :

ـ نعم .. ظلام مخيف جدًا .

قال بعمق أكثر وأكثر :

ـ لاتجعلى هذا يقلقك .. سنشعل مصباحًا .. سنضىء وجهه ، ونرى ملامحه .. هل يمكنك هذا ؟!

لاذت بالصمت طويلاً هذه المرة ، حتى إن (أكرم) قال فى توتر :

ـ إنك تزعجها .

أشار إليه (رمزى) بالصمت ، وهو يواصل التطلّع إلى عينيها ، ولكن (أكرم) هتف فى حدة :

ـ لقد وعدت ألا تفعل ؟!

استدار إليه (رمزى) هذه المرة ، قائلاً فى حزم :

ـ رويدك يا (أكرم) .. إننى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفعت يد (مشيرة) فجأة ، لتقبض أصابعها على عنقه فى قوة ، على نحو جعله يُطلق شهقة مذعورة مندهشة ..

أما (أكرم) ، فقد ارتجفت كل ذرة من كيانه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى ذهول تام ، وهو يحدّق فى وجه زوجته ..

ذلك الوجه ، الذى بدا - لأول مرة فى حياته - أشبه بصورة مجسّمة للشر ..

كل الشر .

* * *

٣ - الظـلام ..

عدّل عالم الاتصالات الشاب ، فى مركز الأبحاث العلمية ، منظاره الطبى عتيق الطراز ، فوق أنفه الضخم ، وهو يطالع التصميمات ، التى وضعتها (سلوى) على عجل ، قبل أن يقول :

- رائع .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

- هل تعتقد أنها صالحة للتنفيذ ؟!

أجابه فى سرعة وحسم :

- بالتأكيد .

ثم هزّ رأسه ، قبل أن يضيف ، فى انبهار تام :

- إنها تصميمات عبقرية بحق ، فمع استخدام سماعات الأذن الواقية ، وإطلاق الموجة المضادة من خلالها ، عبر أذنى لابسها ، سيمحى أى تأثير للموجات الصوتية القاتلة عليه ، فى نفس الوقت الذى لايحدث فيه تعارض ، مع جهاز تتبّع تلك الموجات الرهيبة .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليسأل (سلوى) مبهورًا :

ـ سيدتى .. كيف لم نتشرف بانضمامك إلينا ، فى قسم أبحاث الاتصالات هنا ؟!

أجابته فى ارتباك :

ـ إننى أستغل خبراتى فى مجال آخر .

همّ بإلقاء تساؤل آخر ، لولا أن سأله (نور) فى اهتمام :

ـ كم يستغرق إنتاج خمس قطع على الأقل ، من هذه التصميمات ، التى وصفتها بالعبقرية ؟!

بدا التردّد على العالم الشاب ، وهو يقول :

ـ الواقع أن هذا يتوقّف على ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ أريدها خلال ساعة واحدة على الأكثر .

انتفض جسد الشاب ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ساعة واحدة ؟!

كرّر (نور) ، فى صرامة أكبر :

ـ وعلى الأكثر .

استدار العالم الشاب إلى الدكتور (جلال) ، وهو يهتف مستنجدًا :

ـ دكتور (جلال) .. هذا الخا ...

قاطعه الدكتور (جلال) ، فى حزم مماثل :

ـ ابذل قصارى جهدك .

احتقن وجه العالم الشاب ، وعاد يعدّل منظاره فوق أنفه ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ هذا سيحتاج إلى اعتمادات إضافية ، و...

عاد الدكتور (جلال) يقاطعه ، قائلاً :

ـ كل العقبات سيتم تذليلها فورًا .. هذا الأمر موضوع الآن ، على قمة أولويات الأمن القومى ، لذا فالأفضل أن نبدأ عملية التنفيذ فورًا ، حتى نربح كل دقيقة ممكنة .

قال (نور) فى صلابة :

ـ أو كل ثانية ، لو أمكننا هذا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، المعلّق فى حزام الدكتور (جلال) ، على نحو يوحى بحدوث

طارئ ما ، فأسرع الرجل يلتقطه فى سرعة ، وهو يتساءل فى توتر :

- ماذا هناك ؟!

خفق قلب (سلوى) فى قلق ، وهى تهتف :

- ماذا حدث ؟!

لم يجبها الدكتور (جلال) ، إلا أن تلك النظرة المذعورة ، التى بدت فى عينيه ، اشتركت مع شهقته القوية ، ليُسْقِطا قلبها بين قدميها ، وليدفعا (نور) إلى أن يقول فى توتر :

- هل استعاد نشاطه ؟!

رفع الدكتور (جلال) عينيه إليه ، هاتفًا فى ارتياع :

- إنها (مشيرة) .

صاحت (سلوى) :

- ماذا أصابها ؟!

اختنقت الكلمات فى حلق الرجل لحظة ، قبل أن يهتف بصوت مبحوح منفعل :

- آلات الرصد داخل حجرتها ، كانت تنقل أحداثًا عادية ، حتى حدث ما حدث فجأة .

هتف به (نور) :

- وماذا حدث بالله عليك ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً فى دهشة مبهوتة :

- لن تصدق يا (نور) .. لن تصدق أبدًا ..

وكانت كلماته هذه أكثر إثارة للفزع ، من أى شىء محتمل ..

ألف مرة ..

* * *

من المؤكد أن ما حدث ، فى حجرة (مشيرة) ، كان أمرًا مهمًا ..

ومخيفًا ..

إلى أقصى حد ..

فعلى الرغم من أن الموجة المضادة ، التى ابتكرتها (سلوى) ، كانت تنتشر ، فى كل أنحاء إدارة المخابرات العلمية ، ومركز الأبحاث الملحق بها ، إلا أن (مشيرة) قد بدت وكأنها واقعة تمامًا ، تحت تأثير عقل ذلك الخصم الرهيب ..

لقد أمسكت عنق (رمزى) فى قوة ، حتى إن أصابعها كادت تنغرس فيه ، وهى تقول بذلك الصوت الآلى الرنان المخيف :

ـ هل تتصور أنه من السهل أن تفعل هذا ؟!

صاح (أكرم) ، وهو يندفع نحوها :

ـ يا إلهى (مشيرة) ! ما الذى ...

استدارت إليه بزمجرة مخيفة ، أشبه بزمجرة وحش أدغال رهيب ، وبدت عيناها أشبه بجمرتين مشتعلتين ، وهى تطوّح يدها فى وجهه ، وتلطمه لطمة هائلة ، اقتلعته من مكانه ، وألقت به عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضًا ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (رمزى) حشرجة مؤلمة ، وهو يجاهد للتخلُّص من أصابعها القوية ، الممسكة بعنقه ، فالتفتت إليه بعينيها الناريتين ، قائلة بصوتها الرهيب :

ـ كان ينبغى أن تعلم أننى قد توقَّعت شيئًا كهذا .

وانغرست أصابعها فى عنقه أكثر وأكثر ، وهى تضيف فى شراسة :

ـ واتخذت احتياطى تجاهه .

لم يصدّق (أكرم) عينيه ، وهو ينهض من مكانه ، والآلام تنتشر فى جسده كله ..

حتى فى أعمق أعماق قلبه ..

فياله من مشهد رهيب ، ذلك الذى يراه أمامه !!

زوجته تحاول قتل زميله !

مع تلك السيطرة الرهيبة على عقلها ، تعتصر عنق (رمزى) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وكان من المستحيل أن يظلّ هو ساكنًا ، أمام ما يحدث !!

من المستحيل أن يترك زوجته تقتل زميله ، دون أن يحرك ساكنًا .

عليه أن يفعل شيئًا ..

أى شىء ..

كان الألم والحزن يعتصران قلبه فى عنف ، إلا أنه حسم أمره ، واتخذ قراره ، و...

وانقضّ ..

انقضّ على زوجته ، هاتفًا فى مرارة :

ـ أعلم أنك لن تغفرى لى هذا أبدًا .

ثم ضمّ قبضتيه ، ليهوى على مؤخرة عنقها بضربة عنيفة ، مستطردًا :

ـ ولكن ليس أمامى خيار .

كانت الضربة قوية عنيفة بالفعل ، حتى إنها جعلت أصابعها تتراخى ، حول عنق (رمزى) ..

ولكنها لم تسقطها فاقدة الوعى ..

كل ما حدث هو أنها قد دفعت (رمزى) جانبًا ، وألقته على فراشها ، وهى تستدير لمواجهة (أكرم) ، قائلة :

ـ ولقد توقّعت شيئًا كهذا أيضًا .

كان (رمزى) يسعل فى قوة ، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ، فى حين تراجع (أكرم) فى عصبية ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

كلاّ يا (مشيرة) .. لاتقتليها .. قاومى .. قاومى يا (مشيرة) .. قاومى بالله عليك .

فالتفتت نحوه ، قائلة فى سخرية :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟! هل ستقتلنى ؟!

اشتركت سخريتها ، مع صوتها الآلى الرنان ، لتصنع صورة مخيفة ، أمام عينى (أكرم) ، الذى راح يتراجع ويتراجع ، محاولاً تجنب مواجهة مباشرة معها ، وهو يقول بعصبية مفرطة :

ـ أرجوك يا (مشيرة) .. لاتجعليه يفعل بك هذا .

اقتحم (نور) الحجرة فى هذه اللحظة ، وهو يحمل مسدسه الليزرى ، الذى صوّبه نحو (مشيرة) ، فهتف (أكرم) :

ـ لا يا (نور) .. لا .

انعقد حاجبا (نور) ، وسرى فى جسده توتر لا محدود ، وهو يدرك جيدًا طبيعة ذلك الصراع ، الذى يشتعل فى أعماق زميله ، وتمتم فى توتر :

ـ هل من حل بديل يا صديقى ؟!

زاغت عينا (أكرم) ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يكون هناك حل بديل يا (نور) .

اعتدل (رمزى) على طرف فراش (مشيرة)، وهو يسعل مرة أخرى، قائلاً:

- ربما كان هناك بالفعل.

وصلت (سلوى) فى تلك اللحظة، وأطلقت شهقة ذعر، مع المشهد الرهيب، وهتفت:

- رباه! ولكن الموجة المضادة تحمى المكان بالفعل.

أجابها (رمزى)، وهو يتنحنح فى توتر:

- لن يكون لها أدنى تأثير هنا.

مع آخر كلماته، اندفع رجال أمن المركز داخل المكان، وصوّبوا جميعهم أسلحتهم نحو (مشيرة)، التى التفتت إليهم فى بطء، قائلة بذلك الصوت الآلى الرهيب:

- والآن ماذا؟! هل اجتمعت كل القوى لمواجهتى وحدى.. فليكن.. هيا.. صوّبوا أسلحتكم، و...

وثبت فجأة وثبة مدهشة، قبل أن تتم عبارتها، لتهبط خلف (أكرم)، وتحيط عنقه بساعدها فى سرعة مدهشة، مكملة فى شراسة:

- وأطلقوا النار، لو كنتم تجرءون.

شهقت (سلوى) مرة أخرى، وانعقد حاجبا (نور) بشدة، وسرى التوتر فى كل رجال الأمن، وانتقل إلى الدكتور (جلال)، الذى وصل إلى المكان، وهو يلهث فى انفعال، و...

«سنخرج من هذه المنطقة يا (مشيرة)..»

خرجت العبارة فجأة، من بين شفتى (رمزى)، بصوت هادئ عميق، أدهش الجميع بشدة، فيما عدا (نور)، الذى تمتم فى خفوت شديد، حتى إن أحداً سواه لم يسمع كلماته:

- تُرى هل..

لم يتمّ تساؤله، وهو يتطلع إلى (مشيرة)، التى التفتت إلى (رمزى) بحركة حادة، إلا أن هذا الأخير تابع بنفس الهدوء العميق:

- هذه المنطقة المظلمة لم تعد تناسبنا يا (مشيرة).. سنغادرها فى هدوء، وننسى كل ما يتعلّق بها.

التمعت عيناها فى غضب هائل، ولكنها لم تنبس ببنت شفة، فى حين بدأ ساعدها يضغط عنق (أكرم)..

ويضغط..

ويضغط..

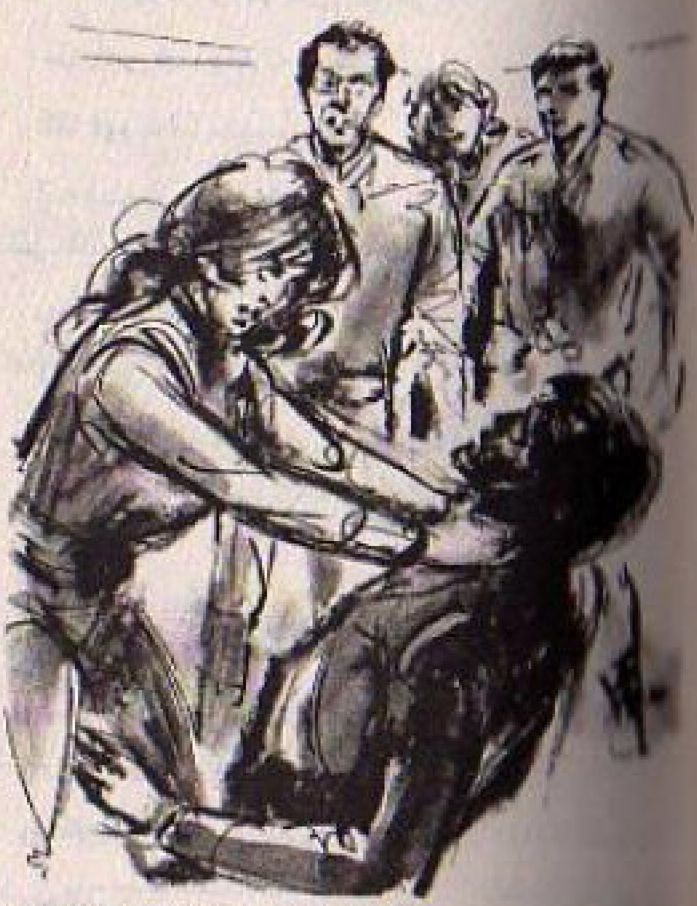

واصلت (مشيرة) ضغطها على عنق (أكرم) ، الذى جحظت عيناه ، وانقطعت أنفاسه ..

واحتقن وجه (أكرم) ..

واتسعت عيناه فى ألم ..

وبدأ يقاوم ساعد (مشيرة) فى استماتة ..

وبكل ذعرها ، هتفت (سلوى) :

ـ افعل شيئًا يا (نور) .. يا إلهى ! افعل شيئًا .

أشار إليها (نور) بالصمت ، وهو يتطلّع فى توتر إلى (رمزى) ، الذى بدا قويًا متماسكًا للغاية ، وهو يواصل :

ـ دعنا نتجه إلى ذكرى التحاقك بجريدة (أنباء الفيديو) .. لقد كان حدثًا فريدًا ، لا يمكن أن ينمحى من ذاكرتك أبدًا .. أليس كذلك ؟!

واصلت (مشيرة) ضغطها على عنق (أكرم) ، الذى جحظت عيناه ، وانقطعت أنفاسه ، وازداد احتقان وجهه ، وتصاعدت من حلقه حشرجة مخيفة ، جعلت (سلوى) تصرخ باكية :

ـ أرجوك يا (نور) .. افعل شيئًا .

ولكن (نور) لم يفعل شيئًا ..

أى شىء ..

كان يدرك جيدًا أنه لايوجد سوى أمل واحد ، فى الخروج من هذا الموقف الرهيب دون خسائر ..

أمل يكمن فيما يحاوله (رمزى) ..

فلقد فهم تمامًا ما يسعى إليه ..

إنه يحاول جذب عقل (مشيرة) ، التى مازالت تحت تأثير التنويم المغنطيسى بالفعل ، إلى منطقة بعيدة ..

منطقة خارج حدود ما زرعه ذلك الخصم الرهيب ، فى أعمق أعماق مخها ..

ولكن من الواضح أنه لم يبلغ المنطقة المناسبة بعد ..

فمازالت (مشيرة) تعتصر عنق (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و(أكرم) المسكين مازال يقاوم فى استماتة ، وأنفاسه تتحشرج ، ووجهه يحتقن ..

ويحتقن ..

ويحتقن ..

ومرة أخرى صرخت (سلوى) :

- لابد أن تفعل شيئًا يا (نور) .. لابد .

وفى هذه المرة ، شعر (نور) بأنها على حق ..

لا يمكنه أبدًا أن يقف ساكنًا ، بعد أن وصلت الأمور إلى هذا الحد ..

وفى توتر ، قبضت أصابعه على مقبض مسدسه الليزرى ، وهو يرفعه نحو (مشيرة) ..

كان من المحتم أن يتخذ قرارًا حازمًا ..

قرار قاتل ..

وفى محاولة أخيرة ، قال (رمزى) ، بذلك الصوت الهادئ العميق ، القادر على اختراق عقل (مشيرة) :

- تذكَّرى علاقتك بـ (أكرم) ، وزواجكما ، و...

قاطعه فجأة ، بذلك الصوت الرهيب ، وقد أضيفت إليه رنة ساخرة مخيفة :

- ألا تعلم أننى قد توقَّعت هذا أيضًا ؟!

ثم انطلقت من حلقها ضحكة رهيبة ..

مخيفة ..

بشعة ..

ومع انطلاق تلك الضحكة المرعبة ، شهقت (سلوى) شهقة قوية مذعورة ، تموج بالارتياع والفزع ..

وانتفضت قلوب الباقين في عنف ..

ففي تلك اللحظة ، كانت كل لمحة من لمحات (مشيرة) وكل خلجة من خلجاتها ، تؤكد أنها ، وخلال الثانية التالية ستعتصر عنق (أكرم) اعتصاراً ..

بلا عقل ..

وبلا رحمة ..

وكان هذا يعني أنه من المحتَّم أن يتخذ (نور) قرار فوراً ..

وأن يضعه موضع التنفيذ ، في أقل من ثانية واحدة ..

وكان القرار عسيراً بحق ..

عسيراً إلى أقصى حد ..

فالتجارب السابقة تؤكد أن إطلاق النار على الأطراف غير مجد ، ولن يوقف ما يحدث أبداً ..

لا بد من نسف الرأس ..

مباشرة ..

ويالَه من إجراء !

ولكن (نور) ، كالقائد ، كان عليه أن يتخذ ذلك القرار الرهيب..

وبثبات ..

ودون أدنى تردُّد ..

لذا ، فقد انعقد حاجباه في شدة ، وارتفعت فوهة مسدسه نحو رأس (مشيرة) مباشرة ، و...

وفجأة ، وقبل أن يضغط (نور) زناد مسدسه الليزري ، بجزء واحد من الثانية ، دوت فرقعة قوية داخل الحجرة..

أما ما حدث ، في الجزء المتبقي من الثانية ، وما رآه الجميع بعيونهم ، فقد كان بالفعل أمراً مذهلاً ..

مذهلاً إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

فجأة ، فتح ذلك الرهيب عينيه ..

شىء ما ، أيقظ مخه بغتة ، كما لو أن صفارة إنذار قوية قد انطلقت داخله ..

وفى لحظة واحدة ، وعلى الرغم من استحالة حدوث هذا علميًا ، مع أى بشرى عادى ، قفز نشاطه العقلى إلى الذروة دفعة واحدة ..

وبرقت عيناه على نحو مخيف ..

وبتصاعد سريع مدهش ، راحت عملياته الحيوية كلها تستعيد معدلاتها الطبيعية ، وخلايا مخه تكاد تذوب ، من فرط التركيز ..

إنهم هنا ..

لقد كشفوا أمره ..

وحددوا موقعه ..

وانطلقوا خلفه ..

صحيح أنه قادر على سحق كل منهم ، فى أية منازلة عقلية منفردة ..

أو حتى مزدوجة ..

ولكن اتحاد عقولهم يصنع قوة هائلة ..

قوة لايمكن لأى مخلوق أن يتصدى لها ..

حتى هو ..

ولكن نقطة تفوقه لاتكمن فى قوته العقلية وحدها ..

بل فى ذكائه الخارق أيضًا ..

والأهم أنها تكمن فى تلك الخطة المحكمة ، التى قضى عقدين من الزمان فى إعدادها ..

وتنسيقها ..

وتنفيذها ..

ومراجعتها ..

ودراسة كل احتمالاتها ..

وسد كل ثغراتها ..

وبمنتهى منتهى الدقة ..

خطة استغرقت عشرين عامًا ، لايمكن أن تكون فيها نقطة ضعف واحدة ..

وبخاصة عندما يضعها هو ..

لقد علم أنهم قد تحركوا ..

وأصبحوا هنا ..

على مسافة كيلومترات قليلة منه ..

ولكن خطته تضمنت أيضاً هذا الاحتمال ..

واستعدت لمواجهته ..

وكل ما عليه الآن ، هو أن ينتظر ..

وأن يتابع ..

ثم يهجم فى اللحظة المناسبة ..

ولكن مهلاً .. لقد أحاطوا أنفسهم بدرع من موجة مضادة ، يعجز عقله ، بموجته الحالية عن اختراقها ..

موجة يمكن أن تحميهم منه ..

لولا أمر واحد ..

أن هذا أيضاً كان أحد الاحتمالات ، التى توقعها فى خطته ..

والتى استعد لها تماماً ..

وهذا يعنى أنه مازال يمضى فى خطته بنجاح ..

خطته التى ستضعه عما قريب ، على القمة ..

قمة العالم ..

بلا منازع .

* * *

٤ ـ المفاجآت ..

كل شىء كان يتموّج ، على نحو هادئ ناعم ، وجسد (نشوى) ينساب عبر الفراغ ، وقد استرخت كل خلية فيه ، وذهنها يشعر باستمتاع وسكينة ، لم تشعر بهما فى حياتها قط ، حتى إنها لم تحاول أن تسأل نفسها ، أين هى ؟! ولا ما الذى يحدث من حولها ؟!

فقط تركت جسدها ينساب فى نعومة ..

وينساب ..

وينساب ..

« أهلاً بك يا (نشوى) .. »

تسلّل صوت (محمود) إلى أعماقها هادئًا ، دافئًا ، فأسبلت جفنيها ، وسألته مبتسمة :

ـ أهو أنت يا (محمود) ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ نعم .. هو أنا .

لم يراودها أدنى شعور بالدهشة ، أو القلق ، أو حتى الحيرة ، وهى تترك جسدها لانسيابيته بضع لحظات ، قبل أن تسأله :

ـ (محمود) .. لماذا يسهل عليك أن تلتقى بنا ، فى فترات النوم أو الغيبوبة ؟! ما العامل الذى نفتقر إليه ، فى لحظات اليقظة ؟!

لم تكن تراه من حولها ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، شعرت أنه يبتسم ، وهو يقول :

ـ حتى فى نومك ، تسعين للبحث عن الأجوبة يا (نشوى) .

ضحكت ، قائلة :

ـ أظنها جينات موروثة .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم أضاف فى اهتمام :

ـ ولكن دعينا لانضيع الوقت فى هذه الأحاديث ، فالجهد الذى أبذله ، حتى يتمّ هذا الاتصال ، يجعل فترته قليلة جدًّا ، ولا بد أن أخبرك كل ما لدىّ بسرعة ..

سألته ، دون أن يفارقها هدوؤها أو استرخاؤها :

ـ وماذا لديك ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ أنت يا (نشوى) !

سألته فى حيرة :

ـ أنا ماذا ؟!

أجاب فى حزم :

ـ أنت الأمل الوحيد للفريق .

تضاعفت حيرتها ، وزايلها ذلك الاسترخاء الممتع ، وهى تسأله :

ـ وكيف هذا ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ سبق أن أخبرت (سلوى) ، أن العقل لا يدحضه سوى العقل .

غمغمت :

ـ هذا صحيح .

هتف بها :

ـ استخدمى عقلك إذن يا (نشوى) .

تساءلت ، بكل حيرة الدنيا :

ـ أستخدم عقلى ؟! وكيف هذا ؟!

بدا صوته خافتًا أكثر مما ينبغى ، وهو يقول :

ـ الموجات العقلية مثل أية موجات ، ولو أوصـ ...

انقطع صوته بغتة ، وخيِّل إليها أن جسدها ينسحب إلى الخلف فى سرعة ، فهتفت :

ـ أو ماذا يا (محمود) ؟!

تضاعفت سرعة انسحابها الخلفية ، وبدت كما لو أنها تنطلق كالصاروخ ، وسط فراغ سرمدى ، فصرخت ، وقد شملها خوف مبهم عجيب :

ـ (محمود) .

مع صرختها ، توقَّف جسدها بغتة ، لخفق قلبها بين ضلوعها بمنتهى العنف ، و...

واستيقظت ..

استيقظت جالسة على حافة فراشها ، بحركة حادة للغاية ، حتى إن الممرضة المرافقة لها قد وثبت فى فزع ، قبل أن تهتف :

- هل .. هل استعدت وعيك ؟!

سألتها (نشوى) فى توتر :

- أين أبى وأمى ؟!

اندفعت الممرضة نحوها ، محاولة تهدئتها ، وهى تقول :

- سنبلغهما بالتأكيد ، ولكن لابد أن يفحصك الطبيب أولاً ، و...

قاطعتها (نشوى) وهى تثب من فراشها ، قائلة فى إصرار :

- أريد أبى وأمى فورًا .. أريدهما الآن .

ارتبكت الممرضة ، وهى تفرك كفيها ، قائلة :

- أخشى أن هذا مستحيل الآن ، يا سيِّدة (نشوى) !

خفق قلب (نشوى) فى عنف ، وهى تسألها :

- ولماذا مستحيل ؟

أجابتها فى سرعة هذه المرة :

- هناك مشكلة فى حجرة السيِّدة (مشيرة) .

ثم مالت نحوها ، مضيفة بكل توتر الدنيا :

- مشكلة خطيرة .. للغاية ..

وخفق قلب (نشوى) مرة أخرى ..

بمنتهى العنف ..

* * *

من المؤكَّد أن ما حدث هناك ، فى قلب حجرة (مشيرة) ، المحاطة بحراسة قصوى ، والموجودة فى قلب مركز الأبحاث العلمية الرئيسى ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، أمر مذهل بكل المقاييس ..

بل ولن ينمحى قط ، من ذاكرة كل من شاهدوه ..

ففى نفس اللحظة ، التى همَّ فيها (نور) بضغط زناد مسدسه الليزرى ، لينسف رأس (مشيرة) ، حفاظًا على حياة (أكرم) ، وبعد أن دوت تلك الفرقعة فى المكان ، ظهر شخص ما فى قلب الحجرة ، وعلى مسافة متر واحد من (أكرم) و(مشيرة) !

ظهر بغتة ، وكأنما نشأ من الفراغ ، ليبرز هناك دفعة واحدة ، دون أية مقدمات !!

باستثناء تلك الفرقعة !

شخص ضئيل ، نحيل ، أصلع الرأس ، حاد النظرات ، على الرغم من ملامحه الرصينة الهادئة ، ومن ذلك الثوب الخشن ، الذى يرتديه ..

ثوب الرهبان ..

رهبان (التبت) ..

وفى ذهول تام ، حدّق الجميع فى ذلك الراهب ، الذى بدا وكأنه لا يشعر بوجودهم تمامًا ، وهو يتطلّع إلى (مشيرة) مباشرة ..

ثم قطع (نور) حبل الصمت والذهول ، وهو يصوّب مسدسه الليزرى إلى الراهب ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ومع قوله ، وفى حركة آلية غريزية ، رفع رجال الأمن فوهات أسلحتهم فى آن واحد ، نحو ذلك الراهب ..

وفى صرامة آمرة ، هتف بهم (نور) :

ـ لا تطلقوا النار .

هتف بها ؛ لأن نظرات (مشيرة) قد تجمّدت تمامًا ، وهى تتطلّع إلى عينى الراهب مباشرة ، فى حين تراخى ساعدها ، المحيط بعنق (أكرم) ، فسعل هذا الأخير فى شدة ، واستعاد وجهه لونه الحقيقى ، وهو يهتف بصوت مختنق :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أزاحت (مشيرة) ساعدها تمامًا ، وسقط ذراعاها إلى جوارها ، وهى تتطلّع إلى الراهب كالمأخوذة ، فاتسعت عينا الدكتور (جلال) فى دهشة بالغة ، فى حين غمغم (رمزى) فى توتر :

ـ يا إلهى !! هذا يبدو كما لو أنه ...

أشار إليه (نور) بالصمت ، فأطبق شفتيه على الفور ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع (مشيرة) ، التى راح جسدها يرتجف ارتجافة باهتة ، لم تلبث أن تصاعدت ..

وتصاعدت ..

وتصاعدت ..

ثم فجأة ، انتفض جسدها فى عنف ..

كل هذا ، دون أن يحرك الراهب التبتى ساكنًا ، أو يبعد عينيه عن عينيها لحظة واحدة ..

وتلاشت نظرة (مشيرة) الوحشية ..

وحلّت محلها نظرة مذعورة ، وهى تهتف فجأة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

اندفع (أكرم) نحوها ، واحتواها بين ذراعيه ، هاتفًا فى ارتياح غامر كبير :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتى .. حمدًا لله .

ولكن جسدها ظلّ يرتجف بين ذراعيه ، وهى تدير عينيها فى الجميع برعب هائل ، قبل أن تتوقف عند الراهب التبتى ، وتكرّر ، والدموع تتفجّر من عينيها كالسيل :

ـ ماذا يحدث هنا يا (أكرم) ؟! ماذا يحدث ؟!

ولم يجب (أكرم) ..

هذا لأنه ، وبكل بساطة ، لايملك جوابًا ..

أى جواب ..

وهذا لم يكن حاله وحده ..

الجميع كانوا كذلك ..

كلهم لايملكون جوابًا ..

ولكنهم كانوا يحدقون جميعًا فى بقعة واحدة ..

تلك البقعة التى وقف فيها الراهب ، هادئًا ساكنًا ، يدير عينيه فى وجوههم ، كما لو أنه يرى البشر ، للمرة الأولى فى حياته ..

وران على المكان كله صمت رهيب ..

صمت لم يقطعه سوى صوت بكاء (مشيرة) ونحيبها ، و...

وفجأة ، انتفض جسد الدكتور (جلال) ، وهو يهتف فى صرامة عصبية آمرة :

ـ ألقوا القبض على هذا الراهب .

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان رجال الأمن قد اندفعوا نحو الراهب ، وأحاطوا به فى تحفّز ، ومدافعهم الليزرية مشهورة ..

وفي توتر ، قال (نور) :

- لا داعي لهذا يا دكتور (جلال) .

صاح به الدكتور (جلال) ، في عصبية زائدة :

- لا تتدخل في هذا الأمر يا (نور) .. أنا رئيس هذه الإدارة ، والمسئول الأول عن سلامتها وأمنها .

قال (نور) في توتر :

- ربما اقترن ظهور هذا الراهب بظاهرة مدهشة مخيفة ، ولكنه أنقذ (أكرم) أمامنا .

قال الدكتور (جلال) في حدة :

- ومن أدراك أنه ليس من وضعه في هذا الموقف ؟!

تساءلت (سلوى) في دهشة :

- وكيف هذا ؟!

أجابها في عصبية :

- من أدراك ، بل ومن أدرانا جميعًا ، أن هذا الراهب الصامت ، هو خصمنا منذ البداية ؟! ألم يخطر ببالكم قط أن

ما فعله الآن ، يعد حيلة مثالية ، ليضع نفسه وسطنا ، بعد أن حمينا أنفسنا منه بدرع للموجات المضادة ؟! إنها تبدو لي لعبة مثالية .. يضرب ضربته ، ويترك خلفه لمحة مجهولة ، تسبب لنا مشكلة مخيفة ، ثم يظهر فجأة ، في اللحظة الأخيرة ، ليخلصنا من المشكلة ، ويبدو أمامنا في صورة البطل الهمام ، و...

« أنت مخطئ .. »

سرت ارتجافة عجيبة ، في أجسادهم جميعًا ، عندما استقبلت عقولهم تلك الكلمة ..

لم تستقبلها آذانهم ، ولكن استقبلتها عقولهم ..

وبحركة سريعة ، التفت الكل إليه ..

إلى الراهب التبتي ..

التفتوا إليه مأخوذين ، فاستدار في هدوء مثير ، ليواجه (نور) و(سلوى) والدكتور (جلال) ، ثم رفع يده وخفضها ، فخفض رجال الأمن من حوله أسلحتهم ، وبدوا كالمشدوهين ، وهو يتجاوزهم في بساطة مدهشة ..

« أنا لست خصمكم .. »

لم تنفرج شفتاه ، ولكنه قالها ..

نطقها بعقله ..

واستقبلتها عقولهم ..

وفى انبهار مذعور ، هتف الدكتور (جلال) :

ـ أرأيتم ؟!

« خصمكم هو خصمنا ، ولقد أتيت من أجله .. »

مرة أخرى ، استقبلت عقولهم عبارته ، فهتفت (سلوى) فى عصبية :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟!

أما (رمزى) ، فقد هبَّ من مكانه ، وهو يقول فى انبهار منفعل :

ـ رباه ! هذا أقوى اتصال عقلى ، شعرت به فى حياتى كلها .

وفى عصبية ، نقل (أكرم) بصره بينهم جميعًا ، واحتوى زوجته (مشيرة) فى صدره أكثر ، وهى ترتجف كطير مُبتَلّ ، من فرط ارتياعها ، فى حين شدّ (نور)

قامته ، فى محاولة للسيطرة على انفعاله ، وهو يسأل :

ـ وكيف وصلت إلى هنا ، على هذا النحو المدهش ؟!

« العقل قادر على تخطى حدود الزمان والمكان .. »

سمعها (نور) فى عقله مباشرة ، فانعقد حاجباه فى شك شديد ..

« ولكن هذا يحتاج إلى قوة ، يستحيل أن تتوفَّر لشخص واحد .. فقط لمجموعة من الأفراد ، الذين يربطهم يقين واحد .. »

هتف الدكتور (جلال) ، وهو يتطلَّع فى ذهول إلى فريق الأمن ، الذى تحوّل إلى تماثيل بشرية متجمّدة :

ـ إنه خصمنا .. أرأيتم ما فعله بطاقم الأمن .

« خصمكم كان تمويهًا .. »

لم يكد عقل (نور) يستقبل العبارة ، حتى هتف لسانه :

ـ إذن فأنت تعرفه ! أعنى بما يكفى لوصفه ، ومنحنا بعض البيانات عنه .

« بالتأكيد .. »

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة، واحتقن وجهه على نحو عجيب، وهو يتراجع، قائلاً فى صرامة:

- مهلاً أيها المقتحم (نور).. ليس بإمكاننا التعاون مع هذا الرجل، قبل أن يثبت حسن نواياه.

ظل الراهب هادئاً صامتاً، فى حين تساءل (نور) فى ضيق:

- وكيف يمكنه أن يفعل ؟!

أجابه الدكتور (جلال)، فى سرعة وحدة:

- يستسلم لنا.. هذا وحده يثبت حسن نواياه، وأنه ليس خصمنا الفعلى.

لم يحاول الراهب الدفاع عن نفسه قط، فى حين عقد (نور) ساعديه أمام صدره، قائلاً:

- وهل تعتقد أن هذا يكفى، يا دكتور (جلال) ؟!

بدا الرجل شديد العصبية والتوتر، وهو يجيب:

- إلى حد ما.

سأله (نور):

- هل رأيت ما فعله بطاقم الأمن الأساسى هنا ؟! إشارة واحدة من يده، أنهت الموقف كله فى لحظة واحدة.. ألم تدرك مع هذا، أنه حتى لو استسلم لنا، يمكنه أن يحرر نفسه فى لحظة مماثلة ؟

نقل الدكتور (جلال) بصره فى توتر، بين (نور) والراهب التبتى، قبل أن يلوّح بيده فى وجه هذا الأخير، هاتفاً فى عصبية:

- ألم تر كيف أتى إلى هنا يا (نور) ؟! هل يبدو لك هذا طبيعياً ؟!

هزّ (نور) رأسه نفياً، وقال:

- كلاً بالطبع، ولكنه بدا لى أيضاً كدليل حتمى على حسن النية، فالرجل الذى اخترق كل دفاعاتنا وتحصيناتنا، وتجاوز كل نظم الأمن وأطقم الحراسة، التى تحيط بالمكان، ليظهر هنا فى قلب حجرة (مشيرة)، على هذا النحو العجيب، كان يمكنه أن يقضى علينا جميعاً، دون الحاجة إلى خدعة كهذه.

كان من الواضح أن الدكتور (جلال) حائر مرتبك ، عاجز عن اتخاذ قرار حاسم ، فى هذا الموقف العجيب ، وأن مشاعره مرتبكة ، بين تصديق ما يقوله (نور) ، أو رفض الموقف بأكمله ..

وفى توتر بالغ ، تطلّع إلى الراهب الصامت الهادئ ، قائلاً :

- إنها مسألة أمن قومى يا (نور) .

قال (نور) فى حزم :

- وهناك دليل قاطع ، على أنه ليس خصمنا بالتحديد .

بدا وكأن الرجل قد تعلّق بجملة (نور) الأخيرة ، كما يتعلّق الغريق بقشة صغيرة ، طمعاً فى النجاة ، وهو يهتف فى لهفة :

- وما هو ؟!

أدار (نور) سبّابته فى الهواء ، مجيباً :

- الموجة المضادة ، التى يتم بثها فى المكان كله .. إنها موجّهة إلى موجات مخ خصمنا بالتحديد ، ويمكنها أن تحجب

تماماً قواه العقلية الفائقة .. داخل هذا المكان على الأقل ، ولكننا رأينا جميعاً أنها لم تفعل .

برزت (نشوى) فى تلك اللحظة ، وهى تقول :

- هذا صحيح .. الموجة المضادة دقيقة للغاية ، بحيث لايمكن أن تعترض سوى موجة عقلية بعينها .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى ابتسامة هادئة ، فى حين احتضنت (سلوى) ابنتها ، فى لهفة وسعادة ، هاتفة :

- حمداً لله على سلامتك .

أما الدكتور (جلال) ، فقد بدا شديد الحيرة والتوتر ، وهو يغمغم :

- وماذا عن (مشيرة) ؟! موجتنا المضادة لم تستطع حمايتها ، من سيطرته العقلية عليها !

قال (رمزى) فى حزم :

- أمر (مشيرة) يختلف يا دكتور (جلال) ، فما أصابها يعود إلى جزء غرسه خصمنا فى عقلها ، تحسباً لأية

محاولة مستقبلية ، لانتزاع حقيقته منها ، وما إن أخضعتها أنا للتنويم المغناطيسى ، وحاولت أن أقودها إلى منطقته المظلمة ، حتى انطلق نظامه الدفاعى يعمل ، بكل ما تمت برمجتها عليه مسبقًا .

« تفسير صحيح تمامًا .. »

ترددت العبارة فى عقولهم جميعًا ، فحدّق الدكتور (جلال) فى الراهب بشىء من الارتياع ، قبل أن يلقى جسده على مقعد قريب ، ويردد :

ـ لست أدرى .. لم أعد أدرى شيئًا .

وضع (نور) يده على كتفه ، قائلاً :

ـ لا عليك يا دكتور (جلال) .. إنها مهمة فريقى ، وعلينا أن نتخذ القرارات .

ثم أدار عينيه إلى الراهب ، مستطردًا :

ـ وأن نتحمّل كل المخاطر .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ترنّح الراهب فجأة ، واتسعت

عيناه على نحو عجيب ، ثم مدّ يده إلى الأمام ، وكأنما يحاول أن يتشبث بشىء ..

أى شىء ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

ـ رباه ! ما الذى ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يثب إلى الأمام ، ليلتقط الراهب بين ذراعيه ، عندما انهار جسده فجأة ، فصاحت (سلوى) فى رعب :

ـ رباه ! ماذا أصابه ؟!

أسرع (رمزى) يعاون (نور) ، على نقل الراهب إلى الفراش ، و(نور) يقول فى توتر :

ـ رباه ! إنه خفيف الوزن إلى حد مدهش .

تساءل (أكرم) ، وهو يضمّ (مشيرة) إلى صدره مرة أخرى ، وكأنما يحاول حمايتها من خطر مجهول :

ـ ماذا أصابه ؟!

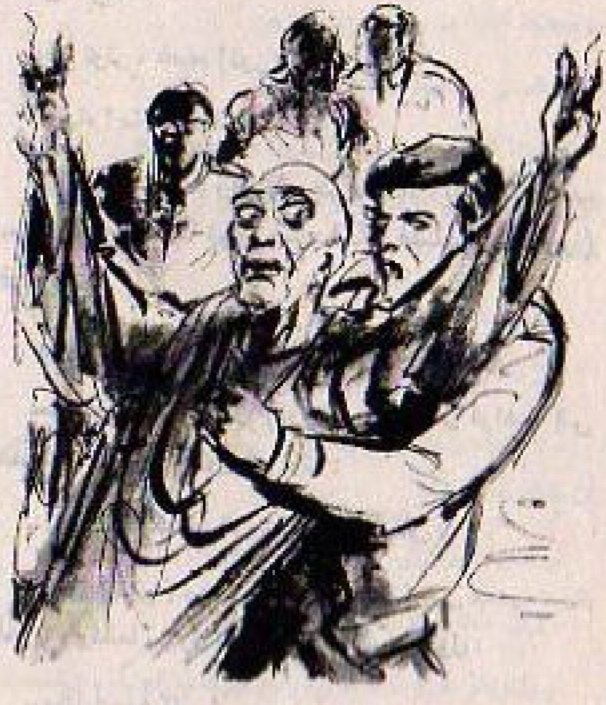

بتر عبارته بغتة ، وهو يثب إلى الأمام ، ليتلقى الراهب بين ذراعيه ، عندما انهار جسده فجأة ..

ألقى سؤاله ، وتعلقت عيون الجميع بأصابع (رمزى) ، وهو يفحص الراهب فى سرعة ، وران على الحجرة صمت رهيب مهيب ، قطعه (رمزى) ، وهو يعتدل فجأة بوجه شاحب ، قائلاً:

ـ رباه ! لقد .. لقد ..

ثم أدار عينيه إليهم ، مكملاً فى ارتياع :

ـ لقد مات ..

وانتفضت قلوب الجميع فى عنف ، مع المفاجأة ..

أكبر مفاجأة .

* * *

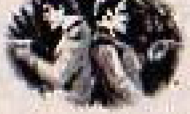

٥ ـ جولة جديدة ..

على الرغم من الإرهاق الشديد ، الذى يشعر به (تامر وجدى) ، خبير المتفجرات والمفرقعات ، بعد يومين كاملين ، قضاهما فى الإشراف على مناورة بالذخيرة الحية ، فى قلب (سيناء) ، إلا أنه عجز عن الاستسلام للنوم فى بساطة ، فراح يتقلّب فى فراشه لساعة كاملة ، قبل أن ينهض ، مغمغمًا فى حنق :

ـ ماذا أصابنى ؟! هل اعتدت النوم تحت دوى القنابل أم ماذا ؟!

غادر فراشه فى سخط ، وراح يدور فى حجرته ، كمحاولة لاستهلاك تلك الطاقة ، التى تمنعه من النوم ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بالضجر ، فتوقّف فجأة ، قائلاً فى حدة :

ـ فليكن .. سألقى نصائح واعتراضات طبيبى خلف ظهرى الليلة ، وأتناول قرصًا منومًا .

اندفع نحو مكتبه الصغير ، والتقط القرص المنوِّم من أحد أدراجه ، مستطردًا :

ـ من المؤكَّد أننى أستحقه عن جدارة الليلة .

ابتلع القرص ، وعاد يسترخى فى فراشه ، والتقط واحدة من المجلات الرقمية الحديثة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله ..

انتفض فى عنف ، كما لو أنه قد تلقّى لكمة مفاجئة فى أنفه ..

ثم تجمّدت ملامحه كلها دفعة واحدة ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّ قابعًا فى فراشه ، جامدًا ، ساكنًا ، كتمثال قديم ، من الرخام الوردى ..

وبعدها غادر الفراش ..

كان يسير كالمأخوذ ، وهو يستقل سيارته ، وينطلق بها إلى مخزن المتفجرات ، الخاص بالمناورة الحية ، والذى لم يكد حارساه يبصراه ، حتى غمغم أحدهما فى دهشة عارمة ، شاركه إياها زميله :

ـ سيادة العقيد (تامر) .. مرحبًا بك يا سيدى ، ولكن أى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فتح (تامر) باب سيارته فجأة ، فبتر الرجل عبارته ، وهو يحدق فى منامته المنزلية فى دهشة ، قبل أن يتراجع زميله بحركة حادة ، وهو يرفع فوهة مدفعه ، هاتفًا :

- يا إلهى ! ما الذى ..

ولم يكتمل هتافه ..

لم يكتمل أبدًا ..

هذا لأن العقيد (تامر) التقط من جيب منامته بغتة، مسدسًا ليزريًا عسكريًا قويًا ..

وأطلق النار ..

خيطان من خيوط الليزر القاتلة، انطلقا فى صمت تام، من فوهة مسدسه، ليخترقا جبهتى الحارسين بدقة مذهلة، لم تتوافر للرجل قط، فى حالة اليقظة ..

وقبل حتى أن يهوى الرجلان جثة هامدة، كان الرجل يتجه نحوهما، ثم يتجاوزهما دون أن يلقى عليهما نظرة واحدة، كما لو أنه قد تحوَّل إلى رجل آلى بلا مشاعر ..

وأمام باب مخزن المتفجرات الرئيسى، توقَّف العقيد (تامر)، فارتفع أزيز خافت، من جهاز الأمن، وانبعث خيط دقيق من الليزر، يمسح وجهه فى سرعة، مع صوت آلى يقول:

- عرِّف هويتك.

أجابه الرجل فى هدوء جامد:

- العقيد (تامر وجدى) .. الرقم الكودى (خ. م - ٢٩٧٣) ..

هبط خيط الليزر الدقيق، ليمسح قزحيته فى سرعة، قبل أن يقول الصوت الآلى مرة أخرى:

- يمكنك استخدام شفرة الدخول السرية.

استجاب الرجل فى سرعة، ودون ذرة واحدة من التردد، وراحت أصابعه تضغط أزرار رتاج الباب، فى ترتيب مدروس، انتهى بصوت آلى، يقول:

- تم السماح بالدخول.

ومع ذلك القول الآلى الأخير، انزاح باب مخزن المتفجرات الرئيسى، ليفسح الطريق أمام العقيد (تامر)، وليكشف ذلك المخزون الهائل من المتفجرات الحربية الحديثة، والذى يكفى لنسف (القاهرة) كلها ..

مائة مرة ..

* * *

«على الرغم من أننا نعرف منطقة تواجده بدقة، فلابد وأن نلتزم منتهى الحيطة والحذر ..»

نطق (نور) العبارة ، وهو يشير إلى الخريطة الإليكترونية لمدينة (القاهرة) الجديدة ، ثم يدير عينيه فى وجوه العسكريين المحيطين به ، متابعاً :

ـ سأقود فريقاً من أربعة رجال ، وسيتم إسقاطنا جواً ، فى خمس مناطق مختلفة ، حول نقطة الهدف ، وسنتبع خطة مدروسة مسبقاً ، بحيث لانحتاج إلى إجراء أية اتصالات مباشرة ، أو حتى مشفرة ، سواء عبر أجهزة اتصال مفتوحة أو محدودة ، حتى لا يمكن لعقله أن يلتقطها أبداً ، بأى حال من الأحوال ، ثم إن أجهزة الموجة المضادة ، التى ستشغل آذاننا طوال الوقت ، ستمنعنا من استخدام أجهزة الاتصال ، على أية حال .

هز العسكريون رءوسهم ، دون أى تعليق ، فتابع (نور) بلهجته الحازمة :

ـ سنتحرك فى دائرة تناقصية ، بحيث نقترب من المركز طوال الوقت ، وليتذكر الجميع أن مهمتنا الرئيسية هى تحديد أنه مازال فى ذلك الموقع فحسب .

تساءل أحد العسكريين فى دهشة مستنكرة :

ـ ألن تتم مهاجمته فوراً ؟

قال (نور) فى صرامة :

ـ كلاَّ .. ذلك الوغد واسع الحيلة ، شديد البراعة والذكاء ، ومازالت جعبته تحوى الكثير من الوسائل ، التى يمكن أن يهاجمنا بها ، حتى ولو كنا نستخدم أجهزة الموجة المضادة المحدودة ، لذا فنحن سنتيقن من وجود الهدف فى موقعه فحسب ، مع استعدادنا التام للتدخل الفورى ، إذا ما استلزم الأمر هذا ، وعندما نحصل على تأكيد إيجابى ، سنقوم بزرع أجهزة استقبال قوية حول مكمنه ، ثم نرسل الإشارة .

ردَّد أحد العسكريين فى حذر :

ـ الإشارة ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ نعم يا سيِّدى .. الإشارة ! الإشارة التى ما إن يتلقاها رفاق هنا ، حتى يطلقوا الموجة المضادة بكل قوتهم ، إلى المستقبلات التى أحطنا بها خصمنا .. عندئذ سنحيطه بغلاف واق ، يحيِّد موجاته العقلية ، ويفسد سلاحه الأساسى ضدنا ، فى نفس اللحظة التى نشن نحن فيها هجومنا عليه ، مع تعزيزات من قوات الصاعقة ، التى يتم إنزالها بوساطة الحوامات جواً .

تبادل العسكريون نظرة دهشة فيما بينهم ، قبل أن يهتف أحدهم مستنكرًا :

ـ كل هذا ، من أجل رجل واحد ؟!

شدّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ إنه ليس رجلاً عاديًا يا سيّدى .

هتف الرجل ممتعضًا :

ـ ولكنه مجرّد رجل واحد ، وما تقوله هنا يخالف كل القواعد العسكرية المعروفة .

قال (نور) فى حزم :

ـ لاتستهن بخصمنا يا سيّدى .

هتف العسكرى :

ـ ولا تبالغ فى تقدير قوته أيضًا أيها المقدّم ..

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يشدّ قامته مرة أخرى ، قائلاً :

ـ صدقنى يا سيّدى .. لو عرفت خصمنا مثلما نعرفه ، لأدركت أننا لا نبالغ فى تقدير قوته إطلاقًا .

شدّ الرجل قامته بدوره ، قائلاً فى عناد .

ـ مازلت أصرّ على أن هذا يخالف القواعد العسكرية .

تطلّع (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى بطء :

ـ لعل هذا هو المقصود بالفعل يا سيّدى .

اتسعت عيون العسكريين فى دهشة ، وهم يتبادلون نظرة مستنكرة ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ أى قول هذا أيها المقدّم ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

ـ من الواضح أن نظمنا تخالف نظمكم تمامًا أيها السادة ؛ فبالنسبة لنا ، نعتبر أن كسر القواعد هو مايصنع عامل المفاجأة ، الذى يساعدنا على مباغتة خصمنا ، أما الالتزام بها ، فيمنح الخصم فرصة مثالية ؛ لتفهم مايمكن أن تقدم عليه ، فى المرحلة التالية ، والاستعداد لمهاجمتنا ، إذ إن كل ما عليه ، فى هذه الحالة ، أن يعود إلى كتاب القواعد العسكرية فحسب .

انتفض أحدهم ، قائلاً فى حدة :

ـ هل تسخر من قواعدنا ونظمنا أيها المقدّم ؟!

هتف (نور) فى سرعة :

ـ محال يا سيدى .. ما من وطنى مخلص ، يمكن أن يشكك فى قدرات قواته المسلحة ، وبراعة وقدرة قادتها ، ولكننا نتحدث هنا عن خصم غير تقليدى ، ولا بد أن نواجهه بوسائل غير تقليدية .

عاد الرجال يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ وما من عسكرى مخلص ، يمكن أن يشكك فى نزاهة أجهزة مخابرات دولته ، وسعيها لحماية أمنها القومى أيها المقدَّم .

وافقه الكل على رأيه فى حماسة ، ثم قال أحد العسكريين :

ـ ودعونا لا ننسى أبدًا أن (أدولف هتلرَ) قد حقق انتصاراته الساحقة ، فى بدايات الحرب العالمية الثانية ؛ بسبب لجوئه إلى وسائل عسكرية غير تقليدية(*) ..

وعادوا يتبادلون نظرة صامتة ، قبل أن يقول أكبرهم رتبة فى حزم :

(*) حقيقة .

ـ سنأمر قواتنا كلها بالاستعداد أيها المقدَّم ، وسنمنحك أربعة من أفضل رجال قواتنا الخاصة ، و ....

« ثلاثة فقط يا سيدى .. »

انبعث الصوت فجأة فى المكان ، صارمًا ، حازمًا ، قويًا ، فالتفت إليه الجميع فى دهشة ، وتساءل أحد العسكريين فى توتر :

ـ من هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

ـ إنه زميلنا (أكرم) .. مقاتل من الطراز الأول .

أضاف (أكرم) ، وهو يقف إلى جوار (نور) ، ويشدّ قامته فى اعتداد :

ـ هذا يجعلنا اثنين من المخابرات العلمية ، مقابل ثلاثة من القوات الخاصة .

تساءل أحد العسكريين :

ـ أيندرج هذا تحت بند عدم التقليدية أيها المقدَّم ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ (أكرم) .. أعتقد أن إصاباتك تجعل الـ ...

قاطعه (أكرم) فى حدة :

ـ سأشارك فى هذه العملية يا (نور) .

لم يرق لـ (نور) أبدًا أن يناقشا هذا الأمر ، فى وجود فريق العسكريين هذا ، إلا أنه تمالك نفسه ، وقال فى حزم :

ـ المفترض أن تبقى ؛ لحماية زوجتك .

هتف (أكرم) :

ـ الوسيلة الوحيدة لحماية زوجتى ، هى سحق تلك الوغد يا (نور) وسأبذل كل طاقتى ، فى سبيل تحقيق هذا الهدف .

بدا الغضب على العسكريين ، وقال أحدهم فى حدة :

ـ هل يفترض بنا احتمال سماع هذا النزاع الصبيانى .

التفت إليه (أكرم) فى غضب ، هاتفًا :

ـ نزاع صبيانى ؟! هل تتصور أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فجأة أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، فى ساعة (نور) ، فرفعها إلى شفتيه مباشرة ، وهو يشير إلى الجميع بالتزام الصمت ، ثم يضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ ماذا هناك يا (رمزى) ؟!

هتف به (رمزى) ، فى انفعال واضح :

ـ (نور) .. لقد أخطأنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يردد :

ـ أخطأنا .

هتف به (رمزى) :

ـ نعم يا (نور) .. الراهب التبتى لم يمت .. إنه حى يا (نور) .. حى ..

وازداد انعقاد حاجبى (نور) بمنتهى الشدة ..

لقد كانت هذه مفاجأة جديدة ..

مفاجأة مدهشة ..

* * *

هزّ رئيس القسم الطبى ، فى إدارة الأبحاث العلمية رأسه فى حيرة ، وهو يراجع البيانات الحيوية للراهب ، على الشاشات الإليكترونية المحيطة به ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أننا كنا على وشك إصدار شهادة وفاة رسمية له ، لولا أن النظم تحتم تأكيد الوفاة أولاً ، من خلال أجهزة الفحص الإليكترونية ، وعندئذ كانت المفاجأة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الراهب ، الذى بدا ، مع نحوله الشديد ، أشبه بمومياء قديمة بالفعل ، والطبيب يتابع ، بنفس الحيرة المرتبكة :

- بالنسبة لأى إنسان عادى ، يبلغ معدّل النبض ما بين سبعين أوثمانين نبضة فى الدقيقة الواحدة ، قد ترتفع إلى مائة أو مائة وعشرين ، فى بعض الحالات المرضية ، أو تنخفض إلى الأربعين نبضة ، فى حالات أخرى ، أما بالنسبة لهذا الراهب ، فنبضات قلبه لم تتجاوز الثلاث ، فى كل دقيقة كاملة .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، فى حين اندفع (رمزى) يقول :

- هذا مستحيل طبيًّا يا (نور) ! حتى لو حدث هذا ، فمن المستحيل أن تحافظ باقى أجهزة الجسم على حيويتها ونشاطها ، أو تبقى فى حالة سليمة منتظمة ، مع معدّل نبض كهذا ، ومعدّل تنفس انخفض إلى مرة واحدة فى الدقيقة .

هتف الطبيب :

- بمعدلات كهذه ، يمكنك أن تدفن هذا الرجل ، وتهيل عليه التراب لساعة كاملة ، ثم تنبش قبره بعدها ، ليعود سليمًا معافى .

غمغم (نور) :

- قرأت أن بعض رهبان (التبت) ، وفقراء (الهند) ، يفعلون هذا فعليًا .

سأله الطبيب فى دهشة :

- يخفضون معدلات نبضهم وتنفُّسهم ؟!

قال (نور) فى حزم :

- بل يتم دفنهم لبعض الوقت ، دون أن يصابوا بأدنى ضرر فعلى(*) .

اتسعت عينا الطبيب فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

- حقًّا ؟!

أما (رمزى) ، فقال فى توتر :

- أنا أيضًا قرأت عن هذا يا (نور) ، فى مراجع علمية محترمة ، ولكن هذا الراهب كان يقف أمامنا ، ويواجه سيطرة

(*) حقيقة مسجلة .

ذلك الخصم الشرير على عقل (مشيرة) ، ثم سقط فجأة ، ودون أية مقدمات : ما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط يا (نور) ؟!

ثم اتسعت عيناه فى ارتياع ، قبل أن يضيف :

ـ هل تعتقد أن خصمنا الرهيب قد ..

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ كلاً .. هذا مستحيل تماماً ! (نشوى) أكدت لى أن تلك الموجة المضادة ، التى يتمّ بثها فى المكان ، تحمينا من تأثيراته العقلية تماماً ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، فسأله (رمزى) فى لهفة :

ـ ألديك فكرة ما يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً فى شرود :

ـ الموجة المضادة .

تطلّع إليه الطبيب فى اهتمام ، فى حين سأله (رمزى) :

ـ ماذا عنها ؟!

لوّح (نور) بسبّابته فى الهواء ، وكل خلجة من خلجاته تشفّ عن التفكير العميق ، وهو يلوذ بالصمت لبضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى الراهب ، الراقد على فراش صغير ، وقد اتصلت عشرات من أجهزة الفحص الإليكترونية بجسده ، قائلاً :

ـ هذا الراهب خاض ، خلال فترة قصيرة ، ما يصعب أن يحتمله أى مخلوق بشرى ، مهما بلغت قدراته ، فقد وثب عبر الزمان والمكان ؛ ليصل من (التبت) إلى هنا ، وليظهر وسطنا مباشرة ، وعندما فعل ، كانت تحيط به موجة مضادة قوية ، تُحجّم قدراته العقلية إلى حد كبير ، وعلى الرغم من هذا ، كان عليه التصدى لحالة سيطرة مخيفة ، على عقل (مشيرة) .. كل هذا استنفد طاقته بشدة .

تساءل (رمزى) فى اهتمام :

ـ هل تعنى أنه يعانى من استنفاد الطاقة فحسب ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ بالضبط .. ولأنه يمتلك قدرة مدهشة ، على السيطرة على جسده كله ، فقد لجأ الجسد إلى وسيلة دفاعية فريدة ، للحفاظ على ما تبقّى به من طاقة ، عن طريق خفض معدلاته الحيوية إلى الحد الأدنى .

بدا الطبيب مبهوتًا ، وهو يقول :

ـ لم أتصور أبدًا أن أى مخلوق فى الدنيا ، يمكنه أن يفعل هذا بإرادته .

أجابه (نور) :

ـ لا ريب فى أنك تقصد أى مخلوق بشرى أيها الطبيب ، ففى عالم الحيوانات والحشرات والزواحف ، يحدث هذا كثيرًا ، وبالذات فى المرحلة التى نطلق عليها اسم البيات الشتوى ، والتى تخفض فيها المخلوقات عملياتها الحيوية ، إلى أدنى حد ممكن ، لتدخل فى سبات شتوى طويل(*) ..

تطلّع الطبيب إلى الراهب لحظة أخرى ، ثم هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ رباه ! المرء يتصوّر أحيانًا أنه قد تعلّم الكثير ، عن قدرات الجسم البشرى ، ثم يفاجأ دومًا بأن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت صفارة الإنذار فجأة فى المكان ، وارتفع صوت آلى يقول :

ـ انتباه .. انتباه .. سيارة مجهولة تقترب من المكان ، بسرعة تفوق السرعة المسموح بها .. انتباه .

(*) حقيقة علمية .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يندفع نحو باب الحجرة ، مغمغمًا فى توتر شديد :

ـ رباه ! أتعشّم ألا يكون هذا جزءًا من هذه الحرب الرهيبة .

قطع الممر الموصل بين إدارة الأبحاث ، ومبنى المخابرات العلمية ، بأقصى سرعة ممكنة ، و(رمزى) يتبعه ، هاتفًا :

ـ (نور) .. هل تعتقد أنه هجوم جديد ؟!

أجابه (نور) ، وقد تضاعف توتره :

ـ أيبدو لك خلاف هذا ؟!

خفق قلب (رمزى) بين ضلوعه فى عنف ، ولاذ بالصمت تمامًا ، وهو يتبع (نور) إلى حجرة الفريق ، وهناك ضغط (نور) أزرار شاشة الرصد ، وتلك الصوت الآلى يتابع ، فى المكان كله :

ـ انتباه ! تم تحذير السيارة ، ولكنها لم تستجب .. على الكل أن يستعد لحالة طوارئ قصوى .

هتف (رمزى) ، وهو يراقب ، على شاشة الرصد ، مشهد سيارة العقيد (تامر وجدى) ، التى تنطلق نحو مبنى إدارة الأبحاث العلمية ، غير مبالية بالتحذيرات والتهديدات الصوتية القوية :

ـ رباه ! لابد من إيقافها يا (نور) .. لابد .

أجابه (نور) ، وهو يراقب الموقف فى توتر بالغ :

ـ هناك نظام أمن إليكترونى ، مسئول عن هذا يا (رمزى) ، فلو تجاوزت تلك السيارة ذلك الخط البرتقالى اللون ، سيتم إطلاق أشعة الليزر على مستوى منخفض ، بحيث تنسف إطاراتها نسفًا ، فى نفس اللحظة التى تستبدل فيها شريحة كبيرة من الأرضية ، بأخرى ذات أطراف مسمارية حادة ، وكل هذا يكفى لإيقافها تمامًا ، أما لو تجاوزت كل هذا ، وبلغت الخط الأحمر ، فسيتم إطلاق ثلاثة مدافع ليزرية قوية نحوها مباشرة ؛ لتنسفها قبل أن تبلغ منطقة الحظر .

كانت السيارة تواصل انطلاقها بالفعل ، بسرعة مخيفة ، بحيث لم يعد يفصلها عن الخط البرتقالى سوى أمتار قليلة ، و...

وفجأة ، دوى انفجار آخر ..

انفجار ارتجَّ معه مبنى إدارة المخابرات العلمية فى قوة ، ثم انطفأت بعده شاشة الرصد مباشرة ، فهتف (رمزى) :

ـ رباه ! ماذا حدث يا (نور) ؟!

تراجع (نور) فى حدة ، هاتفًا :

ـ لقد انشغلنا جميعًا بالسيارة المهاجمة ، فى الوقت الذى استخدم فيه خصمنا وسيلة ما ، لنسف نظام الأمن الإليكترونى يا (رمزى) !

اتسعت عينا (رمزى) فى رعب ، وهتف :

ـ لم تعد هناك وسيلة لمنع تلك السيارة إذن !

أجابه (نور) فى توتر شديد :

ـ النظام الأمنى الإليكترونى البديل سيعمل فورًا ، خلال ثلاث ثوان فحسب ..

ثم انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ، وهو يضيف فى مرارة :

ـ ولكن هذا أكثر مما يحتاج إليه بالفعل .

مع آخر حروف كلماته ، عادت الشبكة الأمنية للعمل بالفعل ، وأضيئت شاشة الرصد مرة أخرى ..

ونقلت مشهد السيارة ..

السيارة ، التى تجاوزت الخط الأحمر ..

بالفعل ..

وبمنتهى القوة ، انتفض جسد (نور) ..

وبمنتهى الشدة ، انعقد حاجباه ..

وفى أعمق أعماق صدره ، خفق قلبه ..

وبمنتهى العنف ..

أما (رمزى) فقد تراجع بحركة حادة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، بكل هلع وارتياع الدنيا ، وهو يهتف :

ـ (نشوى) .. لا .. لا ..

فسيارة العقيد (ثامر) كانت قد تجاوزت الخط الأحمر ..

واندفعت نحو مبنى إدارة الأبحاث العلمية ..

وبسرعة جنونية ..

رهيبة ..

مميتة ..

ومع عودة نظم الأمن الإليكترونية ، بدأت مدافع الليزر القوية عملها على الفور ..

وانطلقت ..

ومع نظم التصويب والتوجيه الإليكترونى الفائق ، كان من الطبيعى ألا تخطئ مدافع الليزر هدفها قط ..

وهذا ما حدث ..

لقد أصابت السيارة ، التى تكتظ بالمواد شديدة الانفجار بالفعل ..

السيارة التى أصبحت على مسافة مترين فحسب ، من مبنى إدارة الأبحاث العلمية ..

لذا فقد كان الانفجار هائلاً بحق ..

انفجار رهيب ، ارتجت معه إدارة المخابرات العلمية بمنتهى العنف ..

انفجار يكفى لسحق إدارة الأبحاث العلمية ، بكل ما فيها ..

وكل من فيها ..

بلا استثناء .

* * *

٦ - الدمار ..

ران صمت وسكون رهيبان مهيبان ، على ذلك المعبد البوذى العريق ، القابع منذ مئات السنين ، وسط قمم الجبال العالية فى (التبت) ..

صمت وسكون ، يُخيّل إليك معهما ، أنه لا أثر للحياة ، فى ذلك المكان ..

بل وفى المنطقة كلها ..

ولكنك لو تجاوزت قمم الجبال ، المغطاة بطبقة كثيفة من الجليد ، وهبطت إلى المعبد نفسه ، وتجاوزت بوابته الهائلة المهيبة ، التى لن تعلم أبدًا ، لماذا جعلها صانعوها بهذه الضخامة ، وتقدمت إلى ساحته ، الغارقة فى ظلام عجيب ، لا تخالطه سوى لمحة من ضوء باهت ، تسلّل عبر فرجة ضئيلة ، وسط السحب الكثيفة ، فى تلك الليلة التى اكتملت فيها استدارة القمر ، ليسمح لك برؤية تلك الحلقة البشرية ، المجتمعة فى منتصفه ، والتى خلقها ذلك الصمت والسكون ، حتى بدت وكأنها لمجموعة من التماثيل الحجرية القديمة ..

كانت مجموعة من رهبان التبت ، يصعب تمييز أفرادها على حو جيد ، مع النحول الذى تشاركوا فيه ، والرءوس الصلعاء ، والنظرات الجامدة ، وتلك الأثواب البنية الخشنة ، التى يدهشك أن يكتفوا بها ، فى مناخ بالغ البرودة ، إلى هذا الحد القارس ..

ولكنك لو تمعّنت فى ملامحهم جيدًا ، لأدركت أنهم حتمًا لايشعرون بهذا البرد القارس ..

بل ولايشعرون بأى شىء مما يدور حولهم ..

لايشعرون بالأحداث ..

أو المكان ..

أو حتى الزمان ..

هذا لأنهم ، فى جلستهم الدائرية هذه ، كانوا يتشاركون طاقتهم العقلية الفائقة ، لصنع جهاز بشرى مدهش ، لإرسال واستقبال موجات المخ ..

إلى أبعد مدى ممكن ..

كانت عيونهم مغمضة ..

وعقولهم مفتوحة عن آخرها ..

وتنطلق بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

جدًا ..

ولا أحد ، حتى هم أنفسهم ، يدرى كم بقوا فى هذا الوضع ..

ففى أمر روحانى كهذا ، لا تكون هناك قيمة للزمان أو المكان ..

أدنى قيمة ..

ولو أنهم ظلوا على مجلسهم هذا لسنوات ، لما حرك أحدهم ساكنًا ، أو بدا عليه مظهر واحد ، من مظاهر الحياة ، أو ..

ولكن مهلاً ..

فجأة وفى آن واحد ، وبتوافق مدهش ، انتفض كل رهبان الدائرة دفعة واحدة ..

انتفضت أجسادهم فى قوة ..

ثم ارتفعت رءوسهم بحركة واحدة تقريبًا ..

ولكن عيونهم ظلت مغمضة ..

فلقد استقبلت عقولهم بغتة موجة قوية ..

قوية ..

قوية إلى حد مخيف ..

ولكن تلك الأجساد ، التى انتفضت فى قوة ، عادت تستقر فى مجلسها ، وتستعيد وضع القرفصاء مرة أخرى ..

وعادت الوجوه تنخفض ..

والعقول تنطلق ..

وبأقصى قوة ..

هذا لأن عقولهم كان عليها أن تؤدى مهمة ..

مهمة عاجلة ..

وبالغة الخطورة ..

إلى حد لا يمكن تصوره ..

أبدًا ..

* * *

انخلع قلب (نور) و(رمزى) بحق ، وهما يهرعان مع فريق الأمن الرئيسى ، لإدارة المخابرات العلمية المصرية ، إلى مبنى إدارة الأبحاث ، الذى حدث عنده الانفجار الرهيب ..

ومن الوهلة الأولى ، بدا من الواضح أن الأمر مفزع بحق ..

وبكل المقاييس ..

فواجهة المبنى بأكملها كانت منهارة ، والنيران تشتعل فى أجزاء عديدة مما تبقى ، وأصوات الصراخ والتأوهات تصمّ الآذان ..

صورة بشعة رهيبة ، جعلت قلب (رمزى) يهوى بين قدميه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! (نشوى) .. (أكرم) .. (سلوى) .. (مشيرة) .. يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) ، فقد منعه هلعه الشديد من أن ينطق بحرف واحد ، وهو يعدو متجاوزًا الحطام ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ومن بعيد ، هتف أحد رجال الأمن :

ـ يا للبشاعة ! السيارة لم تترك خلفها أية بقايا .. الانفجار سحقها مع راكبها سحقًا !!

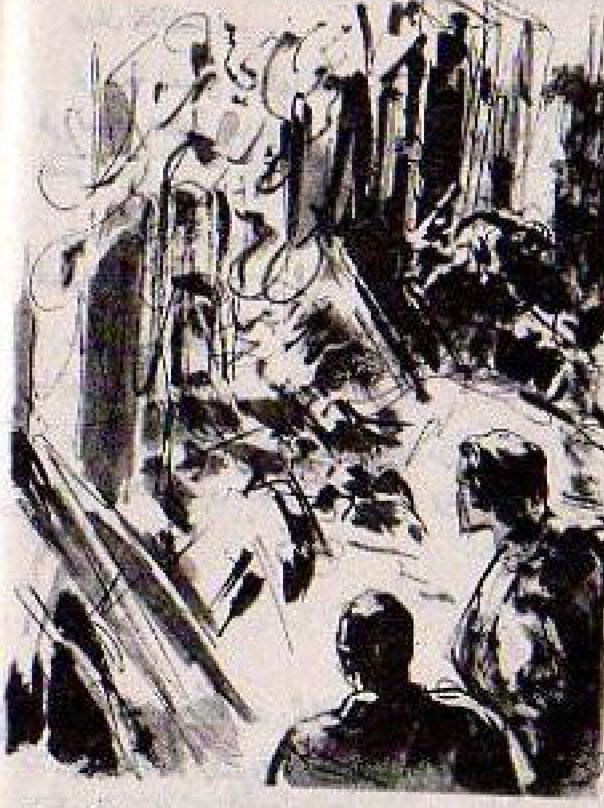

فواجهة المبنى بأكملها كانت منهارة ، والنيران تشتعل فى أجزاء عديدة مما تبقّى ..

وهتف صوت آخر :

ـ هل من أخبار عن الضحايا بالداخل ؟

أجابه صوت ثالث :

ـ ليس بعد .

ضاعف (نور) من سرعته ، ووثب متعلقًا بحاجز معدنى نصف منهار ، ليقفز داخل المبنى ، فصاح به أحد الرجال :

ـ احترس يا سيادة المقدّم .. النيران ما زالت تشتعل ، فى بعض أنحاء المبنى ، وهناك أشياء عديدة ، قابلة للانفجار فى الداخل ، وبعض الجدران قد تنهار فى أية لحظة .

صاح (رمزى) ، وهو يتبع (نور) إلى الداخل :

ـ هذا يمنحنا دافعًا أكبر للدخول يا رجل .

لم يحاول (نور) الدخول فى حوار أو مناقشة ..

لم يكن باستطاعته أبدًا أن يفعل ..

كل ذرة فى كيانه كانت تصرخ بالخوف ..

والقلق ..

واللهفة ..

والهلع ..

واللوعة ..

والارتياع ..

كل خلية فى جسده كانت تتمنى معرفة مصير زوجته ، وابنته ، وزميله ، و(مشيرة) ، والدكتور (جلال) أيضاً ..

ومع توغّله فى المكان أكثر وأكثر ، كانت مشاعره هذه تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

فعلى الرغم من أن تلك السيارة الملغومة ، قد انفجرت على مسافة مترين من المبنى ، إلا أن الدمار الذى أحدثته امتد لمسافة كبيرة ..

كبيرة جداً ..

وهذا يصيبه بالهلع ، على مصير الجميع فى الداخل ..

أما (رمزى) ، فقد راح يردد ، بأنفاس مضطربة لاهثة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

اعترض طريقه أحد العسكريين ، والدماء تنزف فى غزارة ، من جرح كبير فى جبهته ، وهو يصيح فى غضب هادر :

ـ أهذه هى نتائج خططك غير التقليدية أيها المقدم ؟ أهذا ما تسميه بالمواجهة غير العادية ؟

تجاوزه (نور) ، دون أن يتوقّف لمناقشته ، فلوّح الرجل بسبابته خلفه فى غضب ، صائحاً :

ـ كان ينبغى أن تتبع القواعد العسكرية الأساسية أيها المقدم المتحذلق .. كان ينبغى أن تضرب ضربتك فوراً ، بأقصى سرعة ، ودون أن تمنح خصمك الفرصة ، لتوجيه ضربة كهذه إليك .

عضّ (نور) شفتيه ، دون أن يجيب ، وتجاوز قطعة كبيرة من الحطام ، وهو يندفع نحو القسم الطبى ، والعسكرى يلوّح بقبضته خلفه ، صائحاً فى حدة :

ـ سنتولّى الأمر منذ هذه اللحظة ، وسنريك ما الذى يمكن أن تفعله الوسائل التقليدية ، التى لم ترق لك .

كانت المشاعر ، التى ترتجف بها كل خلية فى جسد (نور) ، أقوى من أن يتوقف لمناقشة حديثه ، لذا فقد انحرف داخل الممر ، الذى يقود إلى القسم الطبى ، ليجد أمامه الدكتور (جلال) ، واثنان من رجال الإسعاف السريع ينقلانه إلى محفة هيدروليكية ، والدماء تنزف من صدره وذراعه ..

وما إن رآه الدكتور (جلال) ، حتى هتف :

ـ (نور) .. فريقك يا (نور) .. إنهم .. إنهم ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع نوبة السعال العنيفة ، التى انتابته فى منتصفها ، وتناثرت قطرات الدم من بين شفتيه ، مع سعاله العنيف ..

ولم يتوقف (نور) أو (رمزى) ، لسماع ما أراد أن يقوله ..

لم يتوقف أيهما لحظة واحدة ، وقد تصور أن الأمر بشع ..

بشع بحق ..

وعندما بلغا ذلك الجناح ، الذى يضم أفراد الفريق ، و (مشيرة) ، وذلك الراهب التبتى ، خفقت قلوبهم فى هلع ، مع مرأى الباب المحطم ، والجزء المنهار من الجدار ، و ...

وفجأة ، اصطدمت عيونهما بمشهد ، لم يتخيل أحدهما رؤيته قط حتى فى أحلامه ..

أو كوابيسه ..

مشهد طبيب وثلاث من الممرضات ، وقد سقطوا أرضًا ، وانسحقت أجسادهم سحقًا ، تحت ثقل أجهزة طبية ضخمة ، أوقعها الانفجار على رءوسهم ..

وصاح (رمزى) :

ـ لا .. لا يمكن أن .. أن ..

لم يستطع إتمام عبارته ، إلا أن (نور) اندفع نحو باب جناح الفريق الخاص ، وخفق قلبه فى عنف ، وهو يمسك مقبضه ، ويفتحه ، و ...

وتجمدت كل ذرة فى كيانه ..

وكل ذرة فى كيان (رمزى) أيضًا ..

فما رآه كلاهما كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

ميكار المقاتليون ...

* * *

الآن يعلمون ..

الآن أدركوا أنه ما من وسيلة لمواجهته ..

لقد بذلوا كل ما بوسعهم ، ولم يظفروا به ..

بل ولم يقتربوا حتى من هذا الحد .

كل محاولة منهم لتحجيمه ، واجهها بمنتهى الذكاء ..

ومنتهى العنف ..

ومنتهى القسوة ..

لابد أن يتعلّموا الدرس ..

ويستوعبوه ..

كل مرة يقتربون فيها منه ، تتم معاقبتهم ..

وتدميرهم ..

بلا أدنى رحمة ..

ومع الدرس الأخير هذا ، استعاد سيطرته على الموقف كله ..

موجتهم المضادة انتهت ..

انسحقت سحقًا ..

والضحايا بالعشرات ..

أو بالمئات ..

كادت عيناه تبرقان فى الظلام ، قبل أن يغلقهما فى قوة ، ويطلق العنان لطاقته العقلية الرهيبة ..

نعم .. لم يعد هناك ما يعترض قوته ..

كل الحواجز أزيلت ..

عليه أن يستغل الفرصة إذن ، لتدمير ذلك الفريق ، الذى كشف نقاط ضعفه ..

سيدفعهم ، أو سيدفع من تبقّى منهم على قيد الحياة ، إلى قتل الباقين ..

هذا هو الأسلوب الذى يروق له دومًا ..

أن يدفع الناس لقتل بعضهم البعض ..

وكم يروق له الموقف ، عندما تربط بينهم صلات صداقة ، أو قربى ، أو صلات دم مباشرة ..

عندئذ تكون المتعة أكبر ..

أكبر بكثير ..

شعر بلذة وحشية تسرى فى عروقه ، وعقله ينطلق ..

وينطلق ..

وينطلق ..

ولكن مهلاً ..

إنه لم يلتقط أية موجة ، من موجات عقول فريق (نور) ..

أية موجة على الإطلاق !!

ترى هل يمكن أن يكون الفريق كله قد لقى مصرعه ، مع انفجار المبنى ؟

أم أن ..

التقط عقله بغتة تلك الموجة القوية ..

موجة ، يعلم جيدًا أنه من المستحيل أن يطلقها عقل آدمى عادى ..

موجة يحفظها عقله عن ظهر قلب ، منذ عامين كاملين من الزمان ..

موجة عقل راهب ..

راهب تبتى ..

كان هناك غضب هادر ، يتصاعد فى أعماقه ، إلا أن إرادته الفولاذية سيطرت على مشاعره وانفعاله ، وهو يتراجع بعقله فى سرعة ، قبل أن يكشف ذلك الراهب التبتى موقعه ..

وهدفه ..

من المؤكد أن وجوده سيفسد أمورًا كثيرة ..

هذا لأنه ليس وحده ..

كلهم هناك يمدونه بالقوة ..

والطاقة ..

والأفكار ..

ولكن هذا لن يخيفه ، ولن يوقفه ..

فقط سيدفعه إلى تغيير خطته ..

وتطوير أسلوبه ..

ارتفع رأسه على نحو عجيب ، وتجمد جسده كله ، وترك عقله ينطلق ..

وينطلق ..

وينطلق ..

كان يدرس كل العقول ، فى موقع الحادث ..

كل العقول ..

وكل الأفراد ..

وفى أعماقه ، بدأت تتكون فكرة جديدة ..

ورهيبة ..

فكرة تعتمد على أنه يعلم جيدًا كيف ستكون الضربة القادمة ..

وأين ..

* * *

« هنا .. » ..

نطق القائد العسكرى الكلمة ، بكل الحزم والصرامة ، وهو يشير إلى البقعة التى حددتها (نشوى) ، قبل أن يتابع فى حدة ، فى مكتب وزير الدفاع :

ـ بعدما فعله ذلك الشىء ، لابد أن نواجهه بمنتهى الحزم والصرامة .. ومنتهى العنف أيضًا .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، وهو يقول فى قلق :

ـ المنطقة التى تتحدث عنها ، إحدى المناطق السكنية الراقية ، فى (القاهرة الجديدة) ، وليس من السهل أن تدير فيها عملية عسكرية عنيفة كهذه .

هزّ القائد العسكرى رأسه فى قوة ، وتحسس الضمادة ، التى تخفى جرح جبهته الحديث ، وهو يقول فى صرامة :

ـ العملية ستكون سريعة ومحدودة جدًا يا سيادة وزير الدفاع .. سنستخدم ثلاثًا من فرق الكوماندوز دفعة واحدة .. اثنتان ستنقضان من الجانبين ، والثالثة سيتم إنزالها جوًا ، فى منطقة الهدف مباشرة ، وسندير العملية كلها قبل الفجر ، بحيث تبدأ وتنتهى ، دون أن يشعر سكان المنطقة بحدوثها .

التقط وزير الدفاع نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى قلق شديد :

ـ ما زال الأمر مزعجًا ، ويحتاج إلى قرار سياسى ، قبل أن يكون قرارًا عسكريًا .

انتفض القائد العسكرى ، وهو يهتف :

ـ قرار سياسى ؟ إنها عملية عسكرية محضة يا سيادة وزير الدفاع ، وتطويرها إلى عملية سياسية ، سيؤدى إلى مشكلات لا حصر لها .

تساءل وزير الدفاع فى اهتمام .

ـ أى نوع من المشكلات ؟

شدّ القائد العسكرى قامته فى صرامة ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيادة الوزير .. إننا نواجه خصمًا رهيبًا ، يمكنه السيطرة على عقول البشر ، ودفعهم إلى القيام بكل ما يفيد مخططه الشيطانى ؛ للسيطرة على العالم كله ، وتوسيع دائرة هذه العملية العسكرية قد يؤدى إلى معرفته بها ، وعندئذ سيصبح علينا أن نواجه السؤال الرهيب .

سأله الوزير فى حذر :

ـ أى سؤال هذا ؟

مال القائد العسكرى نحوه ، قائلاً بلهجة خاصة :

ـ ماذا لو أمكنه السيطرة ، على عقل الرئيس مباشرة ؟

اتسعت عينا وزير الدفاع عن آخرهما فى ارتياع ، وحدّق فى عينى القائد العسكرى بضع لحظات ، قبل أن يتنحنح ، قائلاً فى توتر :

ـ أنت على حق .

ثم استدار ، ليوقّع أمر تنفيذ العملية ، واعتدل يناول إياه القائد العسكرى ، وهو يقول بلهجة ، لم يفارقها انفعالها بعد :

ـ كلما أسرعت بالتنفيذ ، كان هذا أفضل .

تألقت عينا القائد العسكرى ، واعتدل فى وقفته ؛ ليؤدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيادة وزير الدفاع .. بالتأكيد .

والعجيب أنه قد شعر فى أعماقه ، بأنه قد انتصر فى معركته ..

انتصر بالفعل ..

* * *

جناح فريق (نور) تم تدميره بالكامل ..

هذا أول ما يمكن أن تلاحظه ، عندما تدلف إليه ..

لقد تهشمت الجدران ، وتحطّمت الأجهزة الطبية ، وانفجرت مواسير الغاز ، وتصدّعت الأرضية ..

ولكن العجيب أن الفريق كله لم يصب بسوء ..

كانوا كلهم يقفون فى منتصف الجناح ، والدهشة تملأ

وجوههم ، وذلك الراهب النحيل يقف وسطهم ، وقد أغلق عينيه ، وبدا ساكنًا هادئًا ، أكثر مما ينبغى ..

وعلى نحو لا يتناسب قط مع الدمار المحيط به ..

والأعجب أنه كانت هناك سحابة خفيفة من الدخان ، تحيط بأفراد الفريق والراهب ..

سحابة اتخذت شكلاً كرويًا تام الاستدارة ، على نحو يستحيل حدوثه فى الطبيعة .

وفى ذهول ، حدّق (نور) و(رمزى) فيما أمامهما ، فى حين تهللت أسارير الجميع عند رؤيتهما ، وهتفت (سلوى) فى سعادة :

- (نور) .. (رمزى) .. حمدًا لله على سلامتكما .. لقد خشينا أن ..

قاطعها (نور) فى لهفة :

- أأنتم جميعًا بخير ؟

احتضن (أكرم) زوجته ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، وتنهّدت (نشوى) ، قائلة :

- نعم يا أبى .. كلنا بخير والحمد لله .

ثم هزت رأسها ، مستطردة :

- ولكن ما حدث هنا كان أمرًا مذهلاً بحق ..

كان ذلك الضباب الباهت ، المحيط بهم ، يتلاشى تدريجيًا ، وهى تشير إلى الراهب ، متابعة فى انبهار وانفعال :

- عندما دوت صفارات الإنذار ، هرعنا أمى وأنا إلى حجرة (مشيرة) ، وتساءلنا عما يحدث بالضبط .. وفجأة ، وجدنا هذا الراهب بيننا ..

تحدثت فى سرعة ، وراحت تلوّح بكفيها فى انفعال ، مكملة :

- لم يكن الانفجار قد حدث بعد ، ولكنه أحاطنا بغتة بكرة الضباب هذه ، والتى تلقَّت عنا كل ما حدث .. كل العنف ، والشظايا المتناثرة ، والحطام المتطاير .. باختصار ، لقد عزلتنا تمامًا عما يحيط بنا ، وكأننا قد أصبحنا فى عالم آخر ، لا علاقة له إطلاقًا بعالمنا هذا .. إننا حتى لم نشعر بالارتجاج ، أو باهتزازات الانفجار .. كل شىء مرَّ بنا ، دون أن يمسنا بأدنى سوء .

التقطت نفسًا عميقًا ؛ للسيطرة على مشاعرها ، قبل أن تضيف فى حماسة شديدة :

- لابد أن أدرس موجات المخ هذه .. من المؤكَّد أنها ستفيدنا كثيرًا ، فى تطوير دفاعاتنا ، ضد خصمنا الرهيب ، فى حربنا الشرسة معه ، و ...

« لستم وحدكم .. »

انطلقت الكلمات فجأة في عقولهم ، فالتفتوا إلى الراهب في دهشة ، تضاعفت عندما بدا أمامهم صامتًا ساكنًا ، في حين أن كلماته ما زالت تتتابع في أعماق عقولهم ..

« كلنا نسعى خلفه .. »

تساءل (نور) في اهتمام :

ـ ومن كلكم ؟

« نحن مجموعة من رهبان (التبت) .. »

الجواب كان مدهشًا بحق ، مما جعل (رمزى) يتساءل في حيرة :

ـ وما شأنه بكم ؟

لم تستقبل عقولهم أي جواب ، لما يقرب من نصف الدقيقة ، فتمتم (نور) :

ـ أظنهم المسئولون عما وصل إليه .

« نحن دربناه .. »

انعقد حاجبا (أكرم) في غضب شديد ، وهو يقول في حدة :

ـ أنتم ؟ إذن فأنتم المسئولون عما نعانيه !

في هذه المرة ، لم ينبس الراهب ببنت شفة كعادته ..

ولم يسمع أحدهم صوته في عقله ..

ولكن ما حدث كان أكثر غرابة وعجبًا ، من كل ما مرّ بهم من قبل ..

أكثر بكثير .

* * *

٧ ـ رحلة عقل ..

شدّ القائد العسكرى قامته فى اعتداد ، وهو يستعرض قوات الصاعقة ، التى اصطفّت فى أحد المطارات العسكرية الحديثة ، عند أطراف (القاهرة الجديدة) ، فى انتظار بدء مهمتها ، ثم قال فى حزم عسكرى صارم :

ـ أريد أن تتمّ مهمتكم بأسرع وقت ممكن .. ضربة واحدة مركّزة ؛ لتصفية الهدف ، بأقل خسائر ممكنة .

سأله أحد ضباط الصاعقة ، وهو يؤدى التحية العسكرية :

ـ ما مقدار المقاومة المتوقّعة يا سيّدى .

انعقد حاجبا القائد العسكرى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ خطتنا تعتمد على عامل المفاجأة ، وقوة الهجوم ، بحيث لانمنح الخصم فرصة للمقاومة .

بدت الحيرة على الضابط ، وهو يتساءل فى تردُّد :

ـ سيّدى .. أليس من المفترض أن نعرف طبيعة الخصم ، واستعداداته فى مواجهتنا على الأقل ؟

بدا الغضب على القائد العسكرى ، وهو يقول :

ـ كل ما عليك أن تعرفه ، هو أنكم تهاجمون بؤرة واحدة تحوى العدد الأكبر من الأعداء ، وأنه من المحتّم أن يكون التدمير شاملاً ، ولقد قدّمنا موعد الهجوم إلى منتصف الليل ؛ لحسم الأمر بسرعة .

صمت الضابط لحظة ، ثم شدّ قامته بغتة ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيّدى .. أنا ورجالى سننفذ كل ما نتلقّاه من أوامر ، وفقاً للتقاليد العسكرية ، ولمقتضيات واجبنا ، الذى تدرّبنا على القيام به ، على أكمل وجه ممكن ، ولكن هذا لايعنى أن ألقى الرجال وسط جحيم ، نجهل كل شىء عنه .. إننا مستعدون لدفع حياتنا ثمناً لوطننا يا سيّدى ، ولبذل كل قطرة دم فى عروقنا ، من أجل أمنه وسلامته ، ولكن وفقاً للقواعد المنطقية ، التى تضمن نجاح مهمتنا ، وتمنحنا القدرة على تطوير الهجوم ، أو تغيير النظم ، لو اقتضت الأحداث هذا ، ومن المستحيل أن نمتلك القدرة على هذا ، ونحن نفتقر إلى أهم مقومات النجاح ..

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ المعلومات يا سيّدى .

اشتعلت عينا القائد العسكرى غضبًا ، وانعقد حاجباه فى شدة ، حتى خُيِّل للضابط أنه سينفجر فى وجهه ، إلا أنه فوجئ بملامحه تلين فجأة ، وهو يقول ، دون أن يتخلَّى عن صرامته العسكرية :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط أيها الضابط ؟

قال الضابط فى سرعة :

ـ الأساسيات يا سيِّدى .. عدد الخصوم ، واستعداداتهم القتالية ، و ...

قاطعه القائد العسكرى فى صرامة :

ـ الخصوم فى أدنى حد ممكن ، أما بالنسبة لاستعداداتهم القتالية ، فثق بأنه لن تنطلق رصاصة واحدة .

ارتفع حاجبا الضابط فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لماذا إذن نهاجم بثلاث فرق دفعة واحدة ، ما دام خصومنا فى أدنى حد ممكن ، ولا يمتلكون أية أسلحة ؟

أجابه القائد العسكرى ، فى لهجة شديدة الصرامة هذه المرة :

ـ هذه مسألة أمن قومى أيها الضابط ، وليس من حقك أن تعرفها ، ولا من حقى أنا أن أخبرك بها .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى حدة :

ـ فهل ستقبل المهمة من هذا المنطلق ، أم أنه علينا أن نسندها إلى ضابط آخر ؟

اعتدل الضابط على الفور ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، وهو يقول :

ـ حياتى فداء لأمن الوطن يا سيِّدى .

ثم التفت إلى رجال الصاعقة ، هاتفًا فى قوة :

ـ استعد .

راقبهم القائد العسكرى ، وهم يتخذون أماكنهم ، داخل الطائرة الحربية ، التى ستنقلُهم إلى موقع الهبوط ، ثم تمتم فى توتر :

ـ وكيف يمكننى أن أخبرك أن خصمكم رجل واحد أيها الضابط ؟ كيف ؟

نطقها والطائرة الحربية تُقلع بالفعل ، نحو الهدف ..

الهدف الذى يقتصر على رجل واحد ..

أو عقل واحد ..

ولكنه يساوى ألف عقل ..

وألف شر ..

على الأقل ..

* * *

صرخات طفل وليد ترددت فى ذلك المكان ..

مكان تقليدى ، عتيق الطراز ، تشير نتيجة الحائط على جداره ، إلى أنه ينتمى إلى زمن قديم ..

إلى أواخر ستينات القرن العشرين ..

وهناك رجل يجلس على أريكة بسيطة ، خارج الحجرة ، التى تأتى منها صرخات الوليد ..

وفى حيرة ، تلفَّتت (نشوى) حولها ، وهتفت :

ـ أين نحن بالضبط ؟

ولو شئنا الدقة ، لقلنا إنها أرادت أن تهتف ..

ولكنها لم تفعل ..

أو أن هتافها لم يتجاوز حلقها ..

أو حتى عقلها ..

ولكن الحيرة ملأت كيانها ولا شك ..

فها هى ذى تقف مع رفاقها ، وسط ذلك المكان ، دون أن يشعر الرجل الجالس بوجودهم ، كما لو أنهم مجردُ أشباح غير منظورة ..

والراهب التبتى لم يعد بينهم ..

وعندما تطلَّعت إلى وجوه الباقين ، رأتهم يتابعون الموقف مثلها ، فى اهتمام مشوب بالتوتر ..

« طفلك غير عادى »

خرج الطبيب من الحجرة ، وهو يلقى العبارة ، فهبَّ الرجل من مكانه ، وتساءل فى انزعاج :

ـ غير طبيعى ؟ ماذا تعنى ؟

بدت الحيرة على الطبيب ، وهو يجيب :

ـ إنها حالة عجيبة ، لم أر لها مثيلاً ، فى حياتى كلها .. إنها لم ترد حتى ، فى أى مرجع طبى .

كاد الرجل ينهار ، وهو يهتف به :

ـ أية حالة تلك ؟

لوّح الطبيب بذراعيه فى الهواء ، وكأنما يبحث عن جواب شاف ، قبل أن يسقط ذراعاه على جانبيه ، وهو يجيب فى أسى :

ـ جمجمته ليست طبيعية .. إنها مشقوقة .

ردّد الرجل فى ذعر ذاهل :

ـ مشقوقة ؟ هل .. هل وُلِدَ ميتاً ؟

هزّ الطبيب رأسه نفياً ، وقال :

ـ كلا .. المشكلة أنه وُلِدَ حياً .

بدا الرجل مبهوتاً ، وهو يتساءل :

ـ وما المشكلة فى هذا ؟

أطلق الطبيب زفرة طويلة ، قبل أن يدفع باب الحجرة ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه من الضرورى أن ترى بنفسك .

قالها الطبيب ، ودلف إلى الحجرة ، فاندفع الرجل خلفه ، قبل أن يصرخ من الداخل فى ارتياع :

ـ لا .. مستحيل ! هذا ليس طفلى .. ليس طفلى .

شعرت (سلوى) بفضول شديد ، لدخول تلك الحجرة ..

كانت تريد أن تعرف ما الذى أفزع الرجل إلى هذا الحد ،

ولقد تحركت بالفعل نحو الحجرة ، و ...

ولكن المشهد كله تغير فجأة ..

المكان أصبح قاعة فحص طبية ، انهمك داخلها طبيبان ، فى فحص بعض صور الأشعة ، وأحدهما يقول فى توتر :

ـ هذا أمر مستحيل ! إنها ليست جمجمة مشقوقة فحسب .. الطفل له مخّان ، وليس مخاً واحداً .

هزّ الثانى رأسه ، قائلاً :

ـ هذا غير منطقى ، من الناحية العلمية .. إنه نوع من التحور الجينى غير المسبوق .. لا بد أن يتم تسجيلها فى كل المراجع الطبية .. المخّان منفصلان تماماً عند قمتيهما ، ثم يمتزجان عند قاعدتيهما ، مع مخيخ واحد ، وحبل شوكى واحد .. ترى ما الذى يمكن أن يُسفر عنه هذا .. أى خلل عقلى يمكن أن يصاب به هذا الطفل فى مستقبله ؟

تابع (رمزى) هذا الحوار فى اهتمام بالغ ، ودهشة بلا حدود ، وتعلق بصره بصور الأشعة ؛ ليشاهد هذا المخ نصف المزدوج ، الذى لم يتصوّر وجوده أبداً ..

وحاول أن يلقى سؤالاً ما ..

حاول أن يُشبع نهم الفضول العلمى فى أعماقه ..

وخيِّل إليه أنه قد تلقى سؤاله بالفعل ، فى نفس اللحظة ، التى قال فيها الطبيب الأوَّل فى حزم :

- هذا الطفل ينبغى أن يخضع للفحص .. الفحص الدقيق ..

كان هذا الحديث ملائمًا تمامًا لسؤال (رمزى) ..

إلا أنه لم يحصل على جواب شافٍ أبدًا ..

فالمشهد انقلب مرة أخرى ، وبدا وكأن المطر ينهمر فى المكان فى غزارة ، أو أنهم يقفون جميعًا فى طريق مظلم ، فى يوم مطير ..

ولكن الأمطار لم تصل إليهم أبدًا ..

وكم أدهش هذا (أكرم) ، الذى تساءل فى أعماقه ، عما فعله بهم ذلك الراهب بالضبط ، عندما أرسلهم فى هذه الرحلة العجيبة ؟

كان الفضول يملأ نفسه ، إلا أنه تابع فى اهتمام الرجل والمرأة ، اللذين يعدوان تحت المطر ، نحو سيارة قديمة ، والرجل يحمل طفلاً رضيعًا ، أحاطه بثوب واقٍ فى إحكام ، وهو يهتف :

- لن يجعلوا من ابنى فأر تجارب .. لن يعذبوه فى حياته أبدًا .. سنغادر المدينة .. سنذهب إلى أى مكان آخر .. سنبدأ حياة جديدة ، حتى لا يعثروا علينا أبدًا ..

سألته زوجته ، بصوت أقرب إلى البكاء :

- وبِمَ يُجدى الفرار .. الناس سيتضايقنا فى كل مكان نذهب إليه .. ابننا ليس طبيعيًا ، ولا بد أن نعترف بهذا .

هتف بها فى صرامة ، وهو يفتح لها باب السيارة :

- الأطباء أخبرونى أن نمو الشعر سيُخفى شكل الجمجمة المشوَّهة ، أما العينان ، فمنظار طبى يمكن أن يحجب شكلهما المخيف .

قالت فى عصبية :

- أنت تعلم أنها ليست المشكلة الوحيدة .

انعقد حاجباه ، وهو يناولها الطفل ، ويحتلّ مقعد القيادة ، ثم ينطلق بالسيارة ، مكررًا فى عصبية :

- ابنى لن يُصبح أبدًا فأر تجارب .. أبدًا .

وانطلقت السيارة مبتعدة ، لتغيب وسط الظلام والمطر ..

والتقى حاجبا (نور) ، وهو يتساءل : لماذا لا يظهر وجه الطفل أبدًا ؟

لماذا يبقى مجهولاً ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

مع تساؤله ؛ تبدَّل المشــهد مرة أخرى ، ليصبح ساحة مدرسة ..

ساحة يسير فيها طفل ، يوليهم ظهره ..

وحوله التفَّت مجموعة من الأطفال المشاغبين ..

كانوا جميعهم يسخرون منه ، ومن ملامحه العجيبة ..

يسخرون ..

ويسخرون ..

ويسخرون ..

ثم تمادى أحدهم ، والتقط حجرًا ، ورماه به ..

وارتطم الحجر بمؤخرة رأس الطفل ..

وأسقطه أرضًا ..

وعلى الرغم منها ، شعرت (سلوى) بالأسف من أجله ، وتذكرت (محمود) الصغير ، وخفق قلبها من أجل كل الأطفال المعذبين فى الأرض ..

أما (نشوى) ، فقد تذكَّرت ابنها بدورها ، وسالت الدموع من عينيها فى صمت ، وتمنَّت لو أنها استطاعت أن تتدخَّل ..

وأن تمد يدها لمساعدته ..

ولكن الطفل نهض فى بطء ..

ثم تجمَّد فى مكانه ..

والتقط طفل آخر حجرًا ، وهم بإلقائه عليه ، وهو يطلق تعليقًا ساخرًا ، و ..

ولكن فجأة ، امتلأت ملامحه بالذعر ..

ليست ملامحه وحدها ، ولكن ملامح الأطفال كلهم ..

ثم انطلقوا يعدون بغتة ، وكأنما أصابهم رعب الدنيا كله ..

ولثوان ، ظلَّ الطفل على جموده ..

وظلَّ الأطفال على رعبهم ..

ثم تخلَّى هو عن جموده فجأة ، وعاد يواصل طريقه فى هدوء ..

وفى هذه المرة ، وقف الأطفال جامدين مبهوتين ، يراقبونه بشىء من الفزع ، وهو يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

وكم تمنَّت (مشيرة) لحظتها لو أنها تحمل واحدة ، من آلات تصوير (أنباء الفيديو) ؛ لتسجِّل كل ما يدور حولها ..

ولكن المشهد عاد يتبدَّل في سرعة ..

أصبح المشهد الآن حديقة داخل كلية جامعية ، وشاب يجلس على أريكة خشبية بسيطة ، ويوليهم ظهره ، في حين تعتدل فتاة إلى جواره ، وهي تهتف في استنكار شديد :

ـ تحبني ؟ أنا ؟ يا لك من وقح !

ثم نهضت بحركة حادة ، صائحة :

ـ ألا تعلم أنك تهينني بهذا ؟ أنا ، الفتاة المثلى في الكلية ، لا يحبني سوى .. سوى .. ماذا أقول بالضبط ؟ إنني أجهل حتى كيف أصف شيئًا مثلك ؟

واستدارت مبتعدة عنه ، فاعتدل في مجلسه ، وارتجف جسده في غضب ، وصرخت الفتاة ، وكأنما أصابتها لسعة في ظهرها .. ثم انطلقت تعدو مبتعدة عنه ، وهي تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

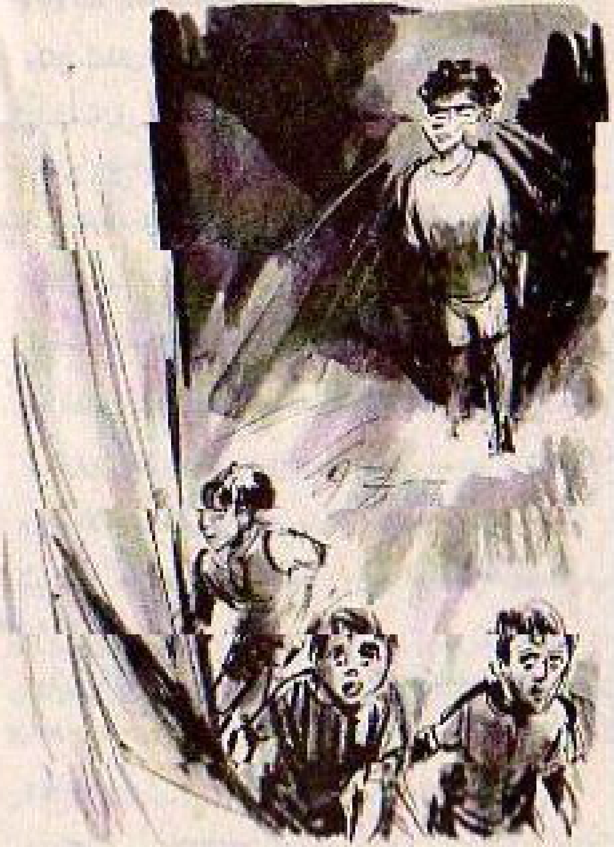

ثم انطلقوا يعدون بغتة ، وكأنما أصابهم رعب الدنيا كله

وتغيّر المشهد فى سرعة ، لترى رجلاً يصرخ :

ـ لا .. ليس لدينا عمل لمثلك .

ثم ظهر آخر ، فى مشهد مخالف ، يقول فى اشمئزاز :

ـ لا .. لا عمل لك هنا .

وظهرت امرأة ، أطلقت صرخة رعب ..

وبعدها تحوّل المشهد إلى الجبال ..

جبال (التبت) ..

وهليكوبتر تنطلق عبرها ، نحو معبد بوذى قديم ، لايحمل لمحة من لمحات الحياة ، باستثناء الدخان المتصاعد من مدخنة صغيرة ..

وهنا ، بدأ (نور) يركّز على الأحداث ، وذلك الأمر ما زال يُحيّره ..

لماذا لا يظهر وجه خصمهم أبدًا ..

كانت الأحداث تتوالى ، كما لو أنهم يعيشون داخلها ..

التدريبات مع الراهب السابق ..

المواجهة ..

مقتل راهب المعبد البوذى ..

كل المشاهد عاشوها ، كما لو أنهم جزء منها ..

جزء مشاهد ، لا مشارك ..

كانوا وكأنهم يشاهدون عرضًا سينمائيًا كرويًا مجسمًا ..

بل وتضمنتهم شاشته ثلاثية الأبعاد أيضًا ..

وهتف (نور) :

ـ إذن فهذا هو ؟

وفى هذه المرة ، كان هتافه مسموعًا ..

ليس بالنسبة له وحده ..

بل بالنسبة لهم جميعًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى أصبح صوته فيها مسموعًا ، اختفت كل المشاهد من حولهم ..

وعادوا إلى ذلك الجناح الطبى المحطّم ..

وهنا فقط ، عاد الراهب للظهور بينهم ..

وفى ذهول تام ، تطلّع كل منهم إلى الآخرين ، قبل أن تهتف (نشوى) ، وهى تلهث فى انفعال :

ـ رباه ! هل عشنا جميعًا هذه التجربة ؟

ازدرد (رمزى) لعابه، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

وهتفت (مشيرة) مرتجفة :

- وماذا كان هذا بالضبط ؟

أجابها (نور) فى سرعة :

- رحلة .

التفت إليه الجميع فى دهشة، فتابع فى حزم، وهو يدير عينيه إلى ذلك الراهب التبتى :

- رحلة عقلية، انطلقت بنا جميعًا فيها؛ لنستعرض حياة خصمنا الرهيب .. رأينا مولده، ونموه، ومعاناته .. عرفنا أنه طفرة وراثية خاصة، كرهت البشر كلهم، وقرّرت أن تنتقم منهم .

تساءل (رمزى) فى حيرة :

- ولكنه كان يمتلك قوة عقلية فريدة بالفعل، كنتاج فائق لمخه نصف المزدوج، فلماذا احتاج إلى تلك التدريبات الطويلة، فى معبد (التبت) ؟

« قدراته لم تكن تكفى؛ لتنفيذ انتقامه .. »

استدار الجميع إلى الراهب، الذى ظلّ صامتًا ساكنًا، وقال (أكرم) فى غضب شديد :

- لذا فقد دربتموه، لتنفيذه على أكمل وجه .. أليس كذلك ؟

« لم نكتشف هدفه عندئذ .. »

استقبلت عقولهم العبارة، التى تغلغلت داخلهم على نحو عجيب، دون أن يحرك الراهب ساكنًا، فتساءل (نور) فى اهتمام :

- وكم بقى عندكم .

ولم ينقل الراهب جوابه إلى عقولهم على الفور هذه المرة ..

لقد انتظر لنصف دقيقة كاملة، وكأنما يؤلمه أن يجيب ..

« عشرون عامًا .. »

اتسعت عيون الجميع فى دهشة بالغة، وهتفت (سلوى) :

- رباه ! أى مدى يمكن أن يبلغه عقل كهذا، بعد عشرين عامًا من التدريب ؟

أجابها (نور) فى سرعة وحزم، وهو يشير إلى الدمار المحيط بهما:

– العدو الذى نواجهه الآن.

هتف (أكرم) بنفس الغضب:

– هل تريد إقناعنا أن ذلك الحقير، قد ظل لديكم عشرين عامًا، دون أن تكشفوا أهدافه الحقيقية أبدًا؟

«نحن نحترم خصوصية بعضنا، ولا يحاول أحدنا قط اختراق عقول الآخرين..»

أتى الجواب إلى عقولهم سريعًا، ولكن (أكرم) هتف فى غضب..

– أأنت أبكم يا رجل؟ ألا يمكنك أن تتحدث مثلنا؟

أغلق الراهب جفنيه، وجوابه يتسلل إلى عقولهم..

«بل إننى أتحدث ككل البشر..»

هتف (أكرم) فى حدة:

– لماذا لا تتحدث إلينا مباشرة إذن، بدلاً من هذا الأسلوب المستفز.

«لأننى لا أتحدث لغتكم..»

أدهشهم الجواب العقلى كثيرًا هذه المرة، فتساءلت (مشيرة) فى حيرة شديدة:

– أى جواب هذا؟! إنك تتحدث بلغتنا طوال الوقت.. أعنى عبر عقولنا.

شاركها الجميع تساؤلها فى أعماقهم، ولكن الجواب جاء هادئًا للغاية..

«هذا ما تتصورونه، ولكن الواقع أن عقلى ينقل إليكم الفكرة فحسب، وعقولكم هى التى تترجمها إلى اللغة التى تفهمونها، وعندما تلقون أسئلتكم بلغتكم، لا يمكننى أن أفهم حرفًا واحدًا مما أسمعه منها، ولكننى أستقى المعنى من عقولكم وحدها..»

انعقد حاجبا (مشيرة)، وكأنما لم يقنعها الجواب، أو لم يرق لها، فى حين بدت (نشوى) مبهورة، وهى تقول:

– رباه! هذا صحيح تمامًا.. الحوار عبر العقول يلغى كل الحواجز، بين لغات العالم المختلفة.. بل وبيننا وبين أية لغة فى الوجود.. فالعقول تخاطب العقول بلغة واحدة، بغض النظر عن اختلاف الألسن.

ولأول مرة منذ رأوه ، ابتسم الراهب ..

ابتسم ابتسامة هادئة ، لم تلبث أن تلاشت سريعًا ..

« هذا تحليل صحيح تمامًا .. »

لم تدرك (نشوى) أن هذه العبارة لم يستقبلها سوى عقلها وحدها ، فهتفت فى لهفة وحماسة :

ـ هل يمكنك أن تعاوننى ، على دراسة هذا الأمر ؟

إنه سيحدث حتمًا ثورة ، فى عالم الاتصالات ، و ..

قاطعها (نور) فى صرامة مفاجئة :

ـ استيقظى يا (نشوى) .

التفتت إليه ، متسائلة فى دهشة عما يعنيه ، فأشار إلى الخراب والدمار من حوله ، مستطردًا :

ـ إننا وسط كارثة ، والوقت لا يناسب الأحلام ، أو طموحات المستقبل ، ولقد رأينا بأنفسنا كيف نشأ خصمنا ، ولماذا يبغض البشر ، ويسعى لتدميرهم ، والسيطرة عليهم ، وما ينبغى أن يدركه الجميع الآن ، هو أن تدمير إدارة الأبحاث قد أوقف بث الموجة المضادة ، التى كانت تصنع

درعًا يحمينا منه ، وهذا يعنى أنه قد استعاد كل سيطرته على الأمور ، وسينطلق الآن كالوحش ، للانتقام منا ، ومن البشر جميعهم .

هبط الوجوم على وجوههم جميعًا ، مع كلماته الأخيرة ، وران عليهم صمت رهيب ، قطعته (مشيرة) فجأة ، وهى تقول :

ليت لدى آلة تصوير الآن ، لتسجيل كل ما يحدث .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، وقال (أكرم) فى عصبية :

ـ (مشيرة) .. ألا يمكنك نسيان عملك أبدًا ؟

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ ولِمَ أنساه ؟ ما دام قد استعاد سيطرته على الأمور ، فسيعاود حتمًا محاولته للقضاء علىّ ، ولن يضيرنى أن أترك خلفى سبقًا صحفيًّا يخلّد ذكراى .

احتواها (أكرم) بين ذراعيه ، وهو يقول فى حسم حنون :

ـ لن يصل إليك ، إلا على جثتى يا حبيبتى .

أراحت رأسها على صدره ، وتركت دموعها تنسكب عليه ، وهى تقول فى مرارة :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيوقفه ؟

« أنا هنا لحمايتكم جميعًا .. »

استقبلت عقولهم القول ، فالتفتوا جميعًا إلى الراهب ، وسأله (نور) فى حزم :

ـ وهل تعتقد أنك قادر على هذا ؟

خُيِّلَ إليه أنه يستقبل تنهيدة خافتة ، نقلت إليه مشاعر الراهب التبتي النحيل ، قبل أن يستقبل جوابه ..

« ربما كانت قواه العقلية تفوقنى كثيرًا ، إلا أننى ما زلت أستطيع منع تأثيراته العقلية عليكم .. إنه شىء أشبه بمنع موجة ما ، من بلوغ الحد اللازم ، للتأثير فيما حولها .. إن عقلى سيمنعه من اختراق عقولكم ، وسيمكنه حمايتكم إلى حد ما .. »

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وهل يستلزم هذا أن نحافظ على مسافة بعينها ، بيننا وبينك ؟

« إطلاقًا »

جاء الجواب لعقلى سريعًا ، على نحو أراحهم جميعًا ، لولا أن أضاف الراهب التبتى فى هدوء ، عبر اتصاله العقلى بهم ..

« هذا لو استخدم وسائل السيطرة العقلية المباشرة .. »

ارتجفت أجسادهم ، مع المغزى الذى يشير إليه ، وهمّت (سلوى) بإلقاء سؤال ما ، و ...

وفجأة ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فى ساعة (نور) ، الذى رفع الساعة إلى فمه على الفور ، وجذب مسماعًا فى طرفها ؛ ليدسه فى أذنه ، وهو يضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور الدين) .. ماذا هناك ؟

انعقد حاجباه ، وتوترت ملامحه بشدة ، على نحو جعل (أكرم) يهتف به فى توتر بالغ :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟

ولكن (نور) لم يجب سؤاله ..

فما كان يبلغه إياه القائد الأعلى ، كان تطورًا خطيرًا للغاية ، فى حربهم الشرسة مع ذلك الخصم ..

الخصم الرهيب ..

جدًّا .

* * *

٨ ـ الهجوم ..

« دقيقة واحدة ، وتبلغ الهدف .. »

ترددت العبارة داخل الطائرة العسكرية ، التى تنقل فرقة الصاعقة المحمولة جوًّا ، نحو المنطقة ، التى تم فيها رصد الموجات العقلية الفائقة ، فاعتدل قائد الفرقة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ استعد .

استعدت الفرقة كلها للقفز بالمظلات ، فوق الهدف مباشرة ، وغمغم أحد الجنود ، وهو يتجه مع رفاقه إلى باب القفز :

ـ لست أصدق أننا سنفعل كل هذا فى قلب (القاهرة) .

همس زميله :

ـ أما أنا ، فلست أصدق أنهم يستخدموننا ، مع فرقتين أرضيتين ، وثلاث حوامات مقاتلة ، مزودة بالصواريخ الموجهة ، للهجوم على منزل صغير ، وسط ذلك الحى الراقى .

قال ثالث ، وهو يراجع أسلحته :

ـ من يدرى ؟ ربما يضم ذلك المنزل بعض الأعداء ، الذين تبلغ خطورتهم الحد الكافى ، لإطلاق كل هذه القوة نحوهم .

ضحك رابع ، قائلاً فى سخرية :

ـ ولكن مع ثلاث فرق من الصاعقة ، وثلاث حوامات مقاتلة ، يمكننا أن نسحق ذلك المنزل سحقاً ، دون أن يدرك قاطنوه حتى أننا فى الجوار .

هتف الأول :

ـ بالضبط .

ألقى قائد الفرقة نظرة ، على شاشة جهاز الرصد العسكرى ، التى تنقل مشهد فرقتى الصاعقة الأرضيتين ، وهما تطوقان المنزل المنشود ، على نحو متقن ، من الناحية العسكرية ، وتطلع إلى ساعته ، وهو يرفع يده ، ليطلق إشارة الهجوم ، و ...

وفجأة ، تجمدت يده فى الهواء ..

وتجمدت عيناه فى محجريهما ..

وبحركة حادة ، نهض من مكانه ، ورفع فوهة مدفعه الليزرى ، فسأله أحد الجنود فى توتر :

ـ ماذا هناك بالضبط أيها القائد ؟

فوجئ الجنود بذلك الصوت الآلى الرنان ، الذى انبعث من بين شفتى قائدهم ، وهو يقول فى برود :

ـ المهمة ألغيت ..

وقبل أن يستوعب أحدهم ما يعنيه هذا ، ضغط قائدهم زناد مدفعه الليزرى ، وهو يصوبه نحوهم ..

وانطلقت خيوط الأشعة القاتلة ، تحصد الجنود ..

وتفجرت الدماء ..

وتفجرت ..

وتفجرت ..

وجذب بعض الجنود أزندة مدافعهم الليزرية ..

وانطلقت خيوط أشعة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واخترقت أشعة الليزر جسد القائد ..

اخترقت صدره ..

ومعدته ..

وساقيه ..

وعلى الرغم من الدماء، التى تدفّقت من جسده فى غزارة، واصل مدفعه الليزرى إطلاق أشعته نحوهم ..

وواصل حصدهم حصدًا ..

وواصل من تبقّى منهم إطلاق الأشعة نحوه ..

ومع ذعره لما يحدث، صرخ قائد طائرة نقل الجنود، عبر جهاز الاتصال :

- الجميع أصابهم الجنون .. إنهم يقتلون بعضهم داخل الطائرة ..

لم يكد يتم صرخته، حتى اقتحم قائد الجنود كابينة القيادة، والدماء تغرق جسده كله، وملامحه تبدو مخيفة رهيبة، مع عينيه الزائغتين، ونظراته المضطربة، فهتف قائد الطائرة فى رعب :

- ما .. ماذا حدث ؟

أجابه القائد، بنفس الصوت الآلى الرنّان :

- المهمة ألغيت .

اتسعت عينا قائد الطائرة، وهو يحدّق فيه بكل رعب الدنيا، وفى فوهة المدفع الليزرى، التى ارتفعت نحو رأسه، وصرخ فى ارتياع بلغ ذروته :

- لا .. لن يمكنك أن تطلق النار علىّ .. لا أحد يمكنه قيادة مثل هذه الطائرة سواى .. لا ..

ولكن قائد الجنود لم يسمعه ..

لقد نفذ الأمر، الذى سيطر على عقله تمامًا، وضغط زناد مدفعه الليزرى فى آلية ..

وانطلقت الأشعة ..

انطلقت تنسف رأس قائد الطائرة، التى اختلّ توازنها دفعة واحدة، مع غياب قائدها، فمالت جانبًا فى عنف، ثم انحدرت إلى أسفل، واندفعت بسرعة مخيفة نحو المنطقة السكنية الراقية ..

وعلى الرغم من سرعة الهبوط الرهيبة، خفض قائد الجنود فوهة مدفعه الليزرى فى هدوء آلى، ووقف جامد النظرات، ينتظر مصيره المحتوم ..

وأمام عيون قادة الحوامات المقاتلة الثلاث ، وجنود فرقتى الصاعقة الأرضيتين ، هوت ناقلة الجنود ، لترتطم بواحدة من الفيلات الفاخرة ، فى ذلك الحى الراقى ، وتنفجر بدوى رهيب ، ارتجت له المنطقة كلها ، بمنتهى العنف ..

ومع الانفجار ، الذى أيقظ المنطقة كلها ، والمناطق المجاورة أيضًا ، انطلقت موجة عقلية رهيبة ، لتكتسح أمامها كل شىء ..

وتحمل للجنود مجموعة جديدة من الأوامر ..

الأوامر الرهيبة ..

وتجمدت عيون رجال فرقتى الصاعقة فجأة ..

ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية ..

وبدأت عملية الاقتناص العسكرى ، على أعنف نحو ممكن ..

ولكن ليس على الهدف المنشود ..

وعلى شاشة جهاز الرصد ، المتصلة بالأقمار الصناعية مباشرة ، شاهد القائد العسكرى الذاهل ، ووزير الدفاع شخصيًا ، معركة تصادمية رهيبة(*) ..

(*) المعركة التصادمية : هى الحرب التى يتواجه فيها الخصوم ، على أرض المعركة المفتوحة ، وجهًا لوجه ، فى قتال مباشر عنيف .

فرقتا الصاعقة انقضت إحداهما على الأخرى ، بمنتهى العنف والشراسة ، وراحت مدافعهما الليزرية تحصد بعضهما البعض بلا رحمة ..

وبلا تمييز ..

وفى ارتياع ، هتف وزير الدفاع :

- رباه ! هذا جنون مطبق .. ماذا يحدث يا رجل ؟ أى قتال شيطانى هذا ، الذى ورّطتنا فيه .

هزّ القائد العسكرى رأسه فى ذهول ، قائلاً :

- لست أدرى .. حقًّا لست أدرى ..

استعاد ذهنه ، فى هذه اللحظة ، تلك الخطة التى وضعها (نور) ؛ للسيطرة على الموقف كله ، قبل أن يبدأ الهجوم المباشر ، وتصاعدت موجة رهيبة من الغضب والسخط فى أعماقه ، وبدا له وكأن ما يحدث ، على أرض المعركة ، هو إهانة شخصية له ، فالتقط جهاز الاتصال بحركة حادة ، وضغط أزرار البث ، الخاصة بالحوامات المقاتلة الثلاث ، ليهتف فى عصبية :

- من القائد إلى (صقر - ١) ، و(صقر - ٢) و(صقر - ٣) .. أطلقوا صواريخكم نحو منطقة الهدف مباشرة .. الآن .

صاح به وزير الدفاع :

ـ هل جننت يا رجل ؟ هل تعلم ما الذى يمكن أن تفعله كل هذه الصواريخ ، فى حىّ سكنى كهذا ؟ إنها ستسحقه سحقًا .. لن يتبقّى منه حتى ما يكفى لملء حفنة يد .

صاح القائد العسكرى ، فى عصبية جنونية :

ـ لم يعد لدينا خيار .. إنه يعلم الآن أننا قد أطلقنا قواتنا نحوه ، ولو بقى على قيد الحياة سيقتلنا حتمًا .. وبلا أدنى رحمة .. ما أفعله هو أملنا الوحيد فى الحياة .

أشار وزير الدفاع إلى شاشة الرصد ، هاتفًا فى حدة :

ـ ولكن حوّاماتنا لم تستجب لأوامرك .. ألم تنتبه إلى هذا ؟

واتسعت عينا القائد العسكرى عن آخرهما ، وهو يحدّق فى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة الحوّامات المقاتلة الثلاث ، التى استدارت فى الهواء ، وانطلقت مبتعدة عن منطقة القتال ، فضغط زر الاتصال مرة أخرى ، وهو يهتف بتوتر عنيف :

ـ من القائد إلى الصقور .. إلى أين تذهبون ؟ ولماذا لم يتم تنفيذ الأوامر ؟ المفترض أنه لديكم مهمة محدودة ؟

واتسعت عينا وزير الدفاع عن آخرهما ، فى حين انتفض جسد القائد العسكرى فى عنف ، عندما انبعث من جهاز الاتصال الخاص ، صوت مخيف ..

صوت رنّان جاف ، أشار الكمبيوتر إلى أنه يأتى من قائد الحوّامة (صقر ـ ٣) ، وهو يقول :

ـ المهمة ألغيت .

اتسعت عينا وزير الدفاع أكثر ، وبدا القائد العسكرى مذعورًا ، وكلاهما يتطلّع إلى الآخر ذاهلاً ..

ثم جاء ذلك الصوت المماثل ، من (صقر ـ ١) ..

جاء ليقول ، على نحو مخيف :

ـ لدينا الآن مهمة جديدة .

وأضاف صوت مطابق ، من (صقر ـ ٢) :

ـ مهمة حاسمة .

وسرت قشعريرة باردة كالثلج ، فى جسدى الرجلين ..

وتجمّدت أطرافهما فى ارتياع ..

وبصعوبة بالغة ، انتزع وزير الدفاع نفسه من ذهوله وارتياعه ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ أية مهمة جديدة ؟

ولم يتلق جوابًا هذه المرة ..

ليس هذا فحسب ، ولكن الكمبيوتر أعلن أن قادة الحوّامات الثلاث قد أوقفوا الاتصالات تمامًا ..

وبكل عصبية الدنيا ، قال وزير الدفاع ، وهو يلتقط جهاز الاتصال الذى يوصله مباشرة بكل أفرع الجيش ، وضغط أزراره فى سرعة ، قبل أن يهتف فى صرامة عصبية :

ـ أنا الوزير .. اسمعنى جيدًا يا قائد الدفاع الجوى .. لدينا ثلاث حوّامات مقاتلة ، خرجت عن السيطرة ، ونفترض أنها قد تهاجم أهدافًا حيوية ، ولا بد من إسقاطها فورًا .. إنها (صقر ـ ١) و(صقر ـ ٢) ، و(صقر ـ ٣) ، وشفراتها الإليكترونية الرقمية هى ..

بتر عبارته مرة أخرى ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف فى ذهول مذعور :

ـ ماذا تقول ؟ هذا مستحيل يا رجل !

انتفض جسد القائد العسكرى ، وهو يهتف به :

ـ ماذا حدث يا سيادة الوزير ؟

رفع الوزير إليه عينين زائغتين ، وهو يقول فى ذعر :

ـ كارثة .. كارثة رهيبة ..

وهوى قلب القائد العسكرى بين قدميه ..

بعنف ..

* * *

بدا القائد الأعلى للمخابرات العلميـة المصرية شديد التوتر والعصبية ، وهو يشير إلى شاشة راصده ، قائلاً :

ـ حرب طاحنة ، فى قلب أرقى أحياء العاصمة يا (نور) .. إنه أمر لم يحدث فى تاريخنا قط .. إننا نواجه قوة هائلة ليها المقدّم .. قوة نعجز بكل قوتنا وإمكانياتنا عن التصدّى لها .

كان (نور) يشعر بسخط شديد لما يراه ، حتى إنه عضّ شفته السفلى ، وهو يقول :

ـ كان ينبغى أن يتريّثوا .. كان ينبغى أن يتبعوا الخطة .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ ولكنهم لم يتبعوها أيها المقدّم ، والأمور تدهورت على نحو مخيف ، يذكرنى بما حدث إبان الاحتلال(*) .. لابد أن نجد وسيلة لحسم الأمر .. وبأى ثمن .

هزّ (نور) رأسه فى مرارة ، قائلاً :

ـ تسرُّع العسكريين أضاع منا فرصة نادرة يا سيّدى .

جلس القائد الأعلى على مكتبه ، ولوّح بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ المشكلة أننا لا نعرف حتى كيف نواجه هذا الخطر أيها المقدّم .. كيف نواجه عقلاً جباراً يمكن أن يدير كل الأمور من حولنا ، دون أن يمكننا منعه أو تحجيمه ؟

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ هناك حتماً وسيلة ما يا سيّدى .. الله (سبحانه وتعالى) جعل لكل داء دواء ، ولكل مشكلة حل ..

زفر القائد الأعلى فى مرارة ، قائلاً :

ـ ليت لدى نصف تفاؤلك يا (نور) .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ إنه ليس تفاؤلاً محضاً يا سيّدى ، بل حسابات عقلية ومنطقية .. وإيمانية أيضاً ؛ فلست أتصور أن توافق ظهور ذلك الخصم الرهيب ، مع اختراع علمائنا لجهاز بث والتقاط الموجات بالغة القصر ، مجرّد مصادفة بحتة ، كما أن وصول ذلك الراهب التبتى إلينا ، ليس عشوائيًا أيضاً .. إنه تصريف إلهى للأمور .. وسيلة من الخالق (عزّ وجلّ) ؛ لإحداث التوازن المطلوب .

زفر القائد الأعلى مرة أخرى ، وقال فى مرارة :

ـ لو أن الله (سبحانه وتعالى) لا يريد لنا الهزيمة ، لما حدث هذا الأمر من الأساس يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيّدى ، ولكننى لا أتفق مع منطقك هذا ، فى رؤية الأمور ، وإلا ما كنا ندعو دومًا بقولنا : « اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ، ولكننى أسألك اللطف فيه » .. فالعبارة تعنى أننا سنواجه قدرنا دومًا يا سيّدى ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) سيعمل على تخفيفه عنا .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ وهل يبدو لك ما حولنا تخفيفًا يا (نور) ؟

أجاب (نور) فى قوة وحزم :

ـ لو علمنا الغيب ، لاخترنا الواقع يا سيدى .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يتطلع إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أنك شخصية نادرة بالفعل يا (نور) .. لست مقاتلاً صنديداً ؟ متحرياً عبقرياً ، وقائداً عظيماً فحسب ، ولكنك أيضاً شديد الإيمان بالله (عز وجل) ، وشديد الارتباط بدينك وعقيدتك ، دون إسراف أو تقتير .. وهذه الصفة الأخيرة بالذات ، تبدو لى وكأنها المفتاح الحقيقى ، لكل ما تحققه من نجاحات .

تخضب وجه (نور) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

ـ يسعدنى أن هذا رأيك يا سيدى .

قال القائد الأعلى فى إعجاب :

ـ أضف إلى كل هذا بساطتك وتواضعك الشديدين ، و ..

قاطعه فجأة أزيز جهاز الرصد والاتصال ، فاعتدل بحركة حادة ، يتطلع إلى شاشة الرصد ، التى انبعث منها صوت آلى ، يقول :

ـ ثلاث حوامات تحلق فى سماء (القاهرة الجديدة) ، دون أن تستجيب إلى أية محاولة للاتصال أو التواصل .

كان هذا هو أحدث تقرير إليكترونى مباشر ، لمكتب القائد الأعلى ، الذى قال فى توتر :

ـ ثلاث حوامات ؟ ما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط ؟

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى اهتمام:

ـ تُرى أكانت تلك الحوامات الثلاث مشاركة ، فى عملية الانقضاض الفاشلة على الخصم ؟

ضغط القائد الأعلى أزرار الكمبيوتر ، المتصل بشاشة الرصد المباشر ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ هذا صحيح .. كيف استنتجت هذا يا (نور) .

انتقل التوتر ، من جسد (نور) إلى لسانه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه يسيطر عليها .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أهذا ممكن ؟

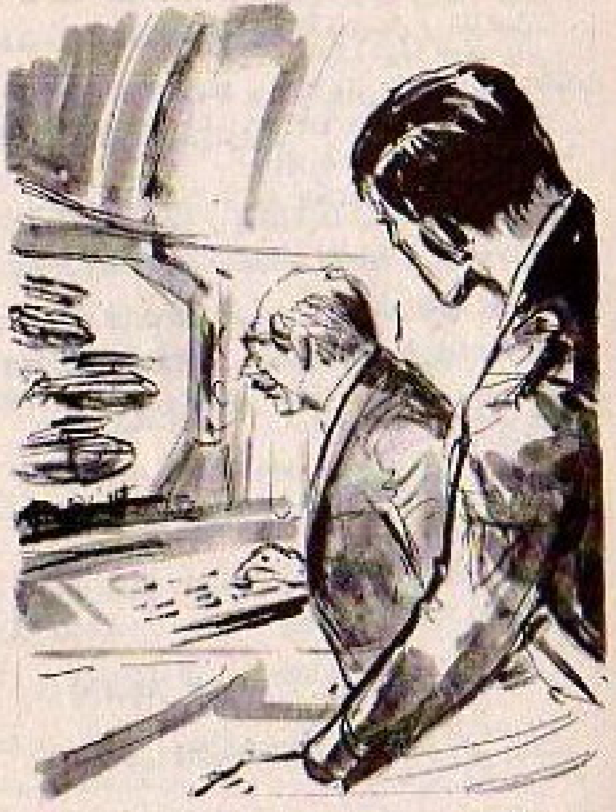

ضغط القائد الأعلى أزرار الكمبيوتر، المتصل بشاشة الرصد الباشر..

قال (نور) بنفس الصرامة المتوترة:

- ليس هناك تفسير آخر.. قادة الحوّامات مجرّد بشر، يمكنه أن يسيطر على عقولهم، كما فعل مع فرقتي الصاعقة، اللتين تسحقان بعضهما أمام عيوننا، ونحن عاجزون عن إنقاذهما، بعد أن خسرنا كل شيء..

ضغط القائد الأعلى أزرار شاشة الرصد، التي نقلت على الفور صورة الحوّامات الثلاث المقاتلة، وهي تحلّق في سماء (القاهرة الجديدة)، وصواريخها الموجّهة مستعدة للانطلاق نحو هدف جديد..

هدف حيوي للغاية..

وبكل دهشته واستنكاره، هتف القائد الأعلى:

- ولكن أين وسائل الدفاع الجوي الرقمية؟ لماذا تركتها تحلّق في السماء على هذا النحو.

قالها، وضغط أزرار جهاز اتصاله الخاص، قبل أن يهتف عبره في حدة وتوتر:

- ماذا يحدث بالضبط يا وزير الدفاع.. ثلاث حوّامات مقاتلة، مزوّدة بأحدث الصواريخ، التي يتم توجيهها، عبر

الأقمار الصناعية ، تعربد فى سماء العاصمة ، دون أن تتصدى لها وسائل الدفاع الجوى الرقمية ؟ أية سياسة عبثية تلك ، التى تتبعونها فى الدفاع عن العاصمة ، التى تضمّ كل الـ ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يستمع إلى الوزير ، قبل أن يهتف :

ـ مستحيل ! كلانا يعلم أنه من المستحيل إيقاف عمل وسائل الدفاع الجوى ، حتى ولو ...

بتر عبارته مرة أخرى ، وعيناه تتسعان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبمنتهى الشدة ، انعقد حاجبا (نور) ، حتى كادا يخترقان جبهته ، مع إدراكه لما حدث ..

خصمهم الرهيب سيطر على عقول رجال الصاعقة ، وقادة الحوّامات المقاتلة الثلاث ..

وقادته المدهشة ، على إيقاف الأجهزة الإليكترونية ، شلّت وسائل الدفاع الجوى تماماً ..

وهذا يعنى ، بالتعبير العسكرى ، أنه قد سيطر على سماء المعركة ..

الآن يمكنه أن يوجّه صواريخه إلى أى هدف يشاء ..

أى هدف ..

كان القائد الأعلى يهتف فى توتر :

ـ فلتخرج طائرات مقاتلة لمواجهتها إذن .. نعم .. نسفها فى سماء العاصمة بكل ما سيحدثه من فزع وهلع ، أقلّ ضرراً من أن تظفر بأى هدف حيوى .

انطلق عقل (نور) يعمل بكل قوته ، وهو يستعرض كل ما حدث منذ البداية ، محاولاً استنباط الهدف ، الذى يطلق نحوه خصمهم الرهيب تلك الحوّامات الثلاث المقاتلة ، التى سيطر على عقول قادتها تماماً ..

أما القائد الأعلى ، فقد بدا شديد العصبية ، وهو يهتف ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ نعم .. لو تركناه ، يمكنه أن يظفر بأى هدف يشاء .. حتى القصر الجمهورى نفسه ..

ثم هزّ رأسه فى شدة ، مواصلاً :

ـ نعم .. أنا أدرك أنه من الصعب تصور أن خصمنا مجرد شخص واحد ، ولكن هذه هى الحقيقة .. إنه شخص واحد ، ولكنه شخص قادر على تحطيمنا ، والسيطرة علينا جميعًا .. بل وربما السيطرة على العالم كله ، هذا يتوقف على توجيهات عقله الوحشى المريض ، و ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فجأة :

ـ الأقمار الصناعية يا سيدى .

رفع القائد الأعلى عينيه إليه فى تساؤل ، فتابع فى انفعال :

ـ الدوامات موجهة بوساطة أقمارنا الصناعية ، وكذلك الصواريخ ، ولو أننا قطعنا تلك الصلة ، بينها وبين الأقمار الصناعية ، لن يمكنها تحديد اتجاهها ، أو تصويب أسلحتها .

هتف القائد الأعلى فى حماسة :

ـ فكرة عبقرية يا (نور) .

وبسرعة نقل الفكرة إلى وزير الدفاع ، فقال هذا الأخير فى مرارة ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ الفكرة ذاتها خطرت لطاقم مساعديَّ ، أيها القائد الأعلى ، ولكننا عجزنا عن وضعها موضع التنفيذ .

وعلى الرغم من أن القائد الأعلى قد استنتج السبب ، إلا أنه سأل فى توتر بالغ :

ـ ولماذا ؟

أجابه الوزير ، فى مرارة أكثر :

ـ لقد فقدنا سيطرتنا على الأقمار الصناعية أيضًا .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

لم يكد يطلق هتافه ، حتى قال (نور) فى حزم ، وهو يندفع نحو الباب :

ـ لقد عرفت أى هدف انتخب ، لتوجيه ضربته القادمة .

هتف به القائد الأعلى :

ـ أى هدف يا (نور) ؟ أى هدف ؟

ولكن (نور) لم يسمعه ..

لقد أدرك طبيعة الهدف ..

وخطورته ..

بالنسبة إليه على الأقل ..

لذا فقد انطلق يعدو نحوه ، بأقصى سرعته وقوته ..

أما القائد الأعلى ، فقد انبعث من شاشته الراصدة صوت آلى ، يقول :

ـ ثلاث حوامات تتجه نحونا .. لا استجابة للتحذير .. الحوامات اخترقت المجال الجوى المحظور ، لإدارة المخابرات العلمية بالفعل .. وسائل الدفاع الجوى كلها لا تستجيب .. الهجوم متوقع ، خلال ست ثوان فحسب ..

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، مع بدء العد التنازلى للهجوم ..

ستة ..

خمسة ..

أربعة ..

وعلى الرغم من أن (نور) لم يعرف الزمن

المتبقى ، فقد انطلق يعدو ، فى محاولة للعودة إلى حطام إدارة الأبحاث العلمية ، حيث بقى رفاقه مع الراهب التبتى ..

ثلاثة ..

اثنتان ..

وفى تنسيق قتالى بارع ، حاصرت الحوامات المقاتلة الثلاث مبنى المخابرات العلمية ، وبقايا مبنى الأبحاث ..

وعبر عقول قادتها ، صدر الأمر ..

الأمر بالهجوم ..

واحد ..

صفر ..

ودون أدنى تردد أو مقاومة ، ضغط قادة الحوامات الثلاث أزرار الإطلاق فى حواماتهم ..

وانطلقت الصواريخ ، الموجهة بوساطة إحداثيات الأقمار الصناعية نحو أهدافها ..

ولأن نسبة الخطأ ، فى نظام كهذا ، لا تتجاوز ثلاثة فى كل ألف ، فقد أصابت الصواريخ أهدافها بمنتهى الدقة ..

ودوت انفجارات رهيبة ..

رهيبة إلى أقصى قدر يمكن تصوره .

وفى هذه المرة ، كان الدمار كاسحًا شاملاً ..

بحق .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع بإذن الله

(البقعة المظلمة)